

حول مائدة المعرفة

تفسير وتقريب لكتب مائتة وآفكار خالدة

إشراف

الدكتور سهر القلماوي

عثمان نورية

رؤى أباطة

١١

ألوان من الحروب

• فلوبيير : سالامبو

• توماس بيدس : حرب البولوبونيز

• سرفنتيس : دون كيخوته

• آرنولد : سهراب ورستم

• سير نورمان أنجل : الوهم العظيم

ترجمة

الدكتور منسى يوسف

تفسير وتقريب لكتب مائة وألفاظ

حول مائة المعرفة

١١

بإشراف
الدكتورة سهير القاسم
عشان نويه
شريت أياطه

نشر هذا الكتاب بالاشتراك
مع
مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر
القاهرة - نيويورك
أكتوبر ١٩٦٥

ألوات من الحروب

ترجمة
الدكتور منسى يوسف

تقديم وتعليق
الدكتور مسهر القمامة

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ شارع محمد علي
القاهرة

هذه الترجمة مرخص بها ، وقد قامت مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر بشراء حق الترجمة من صاحب هذا الحق .

This is an authorized translation of INVITATION TO LEARNING, Volume 2, Number 4, edited by George D. Crothers. Copyright by the Columbia Broadcasting System. Published by Herbert Muschel, New York, New York, U.S.A.

محتويات الكتاب

صفحة

تقديم الدكتورة سهر القلماوى	٧
١ - « سالبو » لفلوير	١١
فلوير	١٣
تعريف بالكتاب والمؤلف بقلم الدكتورة سهر القلماوى	١٥
الحوار	٢٣
٢ - « حرب البولويونيز » لثوسيديس	٣٩
ثوسيديس	٤١
تعريف بالكتاب والمؤلف بقلم الدكتورة سهر القلماوى	٤٣
الحوار	٥١
٣ - « دون كيخوته » لسرفنتيس	٦٧
سرفنتيس	٦٩
تعريف بالكتاب والمؤلف بقلم الدكتورة سهر القلماوى	٧١
الحوار	٧٩
٤ - « سهراب ورستم » لآرنولد	٩٣
آرنولد	٩٥
تعريف بالكتاب والمؤلف بقلم الدكتورة سهر القلماوى	٩٧

صفحة

الحوار	١٠٥
هـ - « الوهم العظيم » لسير نورمان آنجل	١١٩
سير نورمان آنجل	١٢١
تعريف بالكتاب والمؤلف بقلم الدكتورة سهير القلماوى	١٢٣
الحوار	١٢٩

قديم

تذكرنا هذه المجموعة من الكتب بالمثل القديم الذى يقول :
« اما السلم فهو حلم العقلاء ، واما الحرب فهي تاريخ الانسان » .
وهؤلاء خمسة من العقلاء ، بل من خيرة العقلاء ، يحلمون
بالسلم فيصورون حروبا تختلف مكانا وزمانا وأهدافا ووسائل
ونائج ، بل تختلف حقيقة وخيالا ، ليقولوا بما صوروا من هذه
الحروب ان السلم هو حقا حلم العقلاء ، ولكنهم قالوا بوعى او دون
وعى ، ولكن الحرب هي تاريخ الانسان .

ولكل من هؤلاء الكتاب طريقته فى تصوير الحرب والصراع ،
كما أن لكل منهم طريقته فى تبليغ رسالة السلام للانسانية .

هذا أقدمهم ثوسيديدس يصور حرب البولوبونيز بين أثينا
واسبرطة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، فيختار طريقة العالم
الباحث الدقيق الذى يريد أن يعرف لماذا وقعت هذه الحرب .
لماذا أقدم عليها الأثينيون فجنوا على انفسهم وجروا على قومهم
دمارا وهزيمة ما كان أغناهم عنها لو أنهم لبوا نداء اسبرطة للصالح ؟
ان للتاريخ أسراراً ، ولا بد من المعرفة ، فعسى أن تكون معرفة الماضى
الدقيقة مفتاح المستقبل . ولكن المؤرخ اليونانى الكهل مؤمن بالقدر .
ولقد أراد القدر أن تنتحر أثينا وتقضى على نفسها فى حرب أهلية .

وهذا فلوير الفرنسى فى القرن التاسع عشر ، ومعاصره آرنولد
الانجليزى ، يتفق كل منهما مع الآخر فى اختيار موضوع تاريخى
قديم ، بعكس زميلهما اليونانى القديم الذى أراد أن يؤرخ لعصره .

ترى هل كان مزاج القرن التاسع عشر يدفع الى استلهام التاريخ
الموغل في القدم ؟ ان فلوير يصور الحرب البونية بين الرومان
وقرطاجة . وآرنولد يصور حروب الفرس الأسطورية . وكل منهما
يدير كتابه حول بطل او بطلة . وكل منهما يمثل بهذا البطل صورة
ضياع الانسان في الحرب كما كان ضائعا بالفعل في المجتمع من حوله .
وهذه تقارير الحرب البونية عارية جرداء يكسوها فلوير حياة في
« سالبو » . وهذه أساطير حرب الفرس مع التورانيين وقد ملأها
المؤرخون القدامى والشاعر الفارسي الفردوسي أساطير وخرافات ،
فيخرجها آرنولد قصيدة ملحمية رائعة . ولهذا التاريخ القديم
سحره وجماله ، ولذلك التاريخ الأسطوري جلاله وغناه . أما فلوير
فيصور مأساة الانسان الفرد في خضم حرب وحشية بربرية
جرتها أمة غارقة في الملاذ غافلة ، تؤجر المرتزقة ليزودوا عن
حدودها ، فيثورون عليها بعد حرب واحدة ، ويضعفونها لتصبح
لقمة سائغة للرومان الأعداء . وفلوير يؤمن هو الآخر بالقدر ، ولذا
أراد القدر أن تجر قرطاجة على نفسها هذا الدمار ، فكان الرومان
يد القدر ، وكان المرتزقة وسيلة يد القدر للوصول الى النهاية
المحتومة .

وآرنولد يصور أيضا مأساة الانسان الضائع في مجتمع فقير في
روحه ، وقد عكسها على أسطورة « سهراب ورستم » التي تمثل
مأساة الانسان المتحرق الى اللقاء الروحي ، فما يكاد يصل حتى ينزل
القدر ضربته القاضية بالانفصال . كم من فرصة كان يمكن لرستم
أن يعرف فيها ابنه فيجنب نفسه الشكل البطولي الحزين ؟ ولكنه
القدر ! .

وهذا سرفنتيس الأسباني ، يصور أيضا مأساة الانسان الضائع
وسط قيم زائفة في عصره عن طريق حرب يخوضها « السيد »
العبقري ، دون كيخوته « فارسه المخترع » رجل الخير غير المفهوم

فى زمانه . حرب هدفها أن يملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا . وفى سخرية لذيذة يحارب القدر مرة ويحاربه القدر مرات . ولكنه يرتفع بخياله الفارس فوق القدر وفوق الواقع ، ويرتطم بأرض الواقع ، ليعلو أكثر وأكثر فى عالم الخيال ، ثم تنتهى حرب الفارس العبقري ، بفشل ، فلعله من شيمة الفرسان أن يؤمنوا بالحظ وبالقدر .

أما آنجل ، فانه بعلمية القرن العشرين الذى لا يلجأ الى خيال ولا يستلهم تاريخا قديما أو أسطورة ، يكتب عن « الوهم الكبير » عن الحرب التى ظن الناس أنها وسيلة ربح اقتصادى أو رواج مادى أو حل لمشكلات السياسة ، وهى أبعد عن أن تكون وسيلة إلا للشر . وبالحجج وبالأمثلة التى قد لا نوافقه عليها كلها يبرهن على عدم جدوى الحرب . وكما يقرر الحوار « تفود مقدماته غير السليمة الى نتائج لا شك أنها سليمة » . انه قطعاً لا جدوى فى الحروب ، ولكن لماذا يستمر الانسان فى الحرب ؟

بخمسة وسائل : بالتاريخ الدقيق ، وبالتاريخ الذى اكتسى اثوابا زاهية من الخيال ، وبالخيال الصرف ، وبالأسطورة ، وبأسلوب المنطقى التقريرى يكتب خمسة من الكتاب روائعهم ليقولوا كلمة واحدة : الحرب شر . ويتفق ابن القرن الخامس قبل الميلاد وابن القرن السادس عشر والقرن التاسع عشر والقرن العشرين على أن الحرب شر ، وأن هناك طريقا الى السلام ، ولكن مرة أخرى نجد المثل القديم يصدق : « أما السلم فهو حلم العقلاء ، وأما الحرب فهى تاريخ الانسان » .

سهير القلماوى

سالمبو

Salammbô

لفاوبير

Flaubert

فلوبير

جوستاف فلوبير - (١٨٢١ - ١٨٨٠) روائي
فرنسي ولد بمدينة « روان » لاب طبيب بمستشفى
المدينة وأم من أسرة معروفة . تعلم الطب ثم هجره
ليؤلف الكتب . سافر الى ايطاليا والشرق . عرف
أكثر كتاب عصره ، وكان يلقيهم في باريس ويشاورهم
أحيانا فيما يكتب . عاش أكثر حياته في عزلة في
ضواحي روان ، وبها مات .

أهم مؤلفاته « مدام يوفاري » سنة ١٨٥٧ . أحدثت
ضجة لأنها من الأدب المكشوف ، ولكنها قدرت بعد
ذلك ، وبخاصة من حيث أسلوبها الواقعي وافتها
الدقيقة ، حتى أصبحت معلما في تاريخ الرواية
العالية .

له أيضا « سالبو » سنة ١٨٦٢ ، و « التربية
العاطفية » سنة ١٨٦٩ - و « اغراء سانت أنطوان »
سنة ١٨٧٤ ، وهي تأملات فلسفية دينية .

نشر في حياته « ثلاث قصص » سنة ١٨٧٧ ، في
مجلد واحد ، هي : « سانت جوليان » ،
و « هرودياس » ، و « قلب ساذج » . قوبلت بفتور
ولكنها أثرت في موبسان وقلدها واعترف بدينه لها .
ونشر أيضا مسرحية « كانديدا » سنة ١٨٧٤ التي
فشلت فشلا ذريعا .

وبعد موته نشرت له رواية لم تكتمل « بوفار .
وبيكوشيه » سنة ١٨٨١ ، يسخر فيها من غفلة
البرجوازية وقيادتهم . كذلك نشرت له مذكرات عن
رحلة بعنوان « عبر الحقول والشلطان » جمعت بعد
موته ، كما جمع له كثير من مراسلاته ، وبعض الأعمال
التي ألحها في شبابه ولم يكن راضيا عنها فلم ينشرها
في حياته .

تعريف بالكتاب والمؤلف

في بيت صغير في ضواحي روان عاش جوستاف فلوبر أكثر أيام حياته منعزلا عن الناس يتأملهم من خلال حاضرتهم الذي يراه ، ومن خلال ماضيهم الذي يتخيله عبر التاريخ ، ويدرس الواقع الحال والواقع الماضي المتخيل ، بدقة الباحث العالم ، دقة من يؤمن بأن الشيء الصغير في عالم الإنسان كالشيء الكبير ، كلاهما جرى بالتأمل ، خليق بالوصف . ولقد عانى في هذه العزلة من مرض لازمه منذ طفولته استدعاه أبوه من أجله من باريس ليعنى به في روان مسقط رأسه . كما رحل إلى إيطاليا وإلى الشرق مع « مكسيم دوكان » في سبيل الاستشفاء منه . ولم يترك لنا ما يدل على هذا المرض إلا أخبارا متناثرة ، ولكن الألم العيقري الآخر ، ألم الإبداع ، من خلال طبيعة فنية متناقضة هو الذي خلده لنا في آثاره . مزيج عجيب من الدقة الواقعية والتخيل الرومانسي اضطره أن يرفع الفن فوق الواقع بتحسس مستغرق ، يشبه تحسس المؤمن واستغراقه وهو يتأمل الكون وخالقه ، واضطره في الوقت نفسه أن يتعصب لدقائق الواقع تعصب المؤمن الذي لا يرى من فرط الإيمان إلا ما يؤمن به . وهو نفسه يصف في رسائله هذه الطبيعة المزوجة ؛ طبيعة فلوبر المحب للغنائية المفتون بالتحليق الرومانسي ، وطبيعة فلوبر الذي يكلف بأن يحفر ويحفر في عناء دائم ليصل إلى أغوار الواقع . ولكنه لا يريد من هذه الأغوار إلا جوهر الحقيقة الذي يحاول أن يصفه بدقة العالم .

وكان هذا سببا في أن يعكف فلوبر سنين طويلة على العمل الأدبي الواحد قبل أن يخرج للناس ، وهذا أيضا ما جعله يعرض

أعماله على الأصدقاء من الكتاب ويستطلع رأيهم فيما كتب ويناقشهم فيه . يقال أنه قضى خمسة وعشرين عاما يكتب « اغراء سانت أنطوان » . ويؤثر عنه أنه كان يقضى أسبوعا كاملا في كتابة صفحة واحدة . ولم يقنع أبدا بجملة تعبر « تقريبا » عن معناه ، وإنما كان يأبى إلا أن يصل الى الجملة التي تعبر « بدقة » عن المعنى . وكانت هذه ميزته على كتاب القرن التاسع عشر ، بل على كتاب كثيرين من كل عصر ، فهو اقلهم غموضا وأندرهم قصورا في أسلوبه . وكلفه هذا عكوبا طويلا صابرا عنيدا على عمله ، كما أدى هذا الى أنه لم ينشر أعمال الشباب ، وإنما نشرت له بعد موته لأنه لم يكن يرضى عن نفسه بسهولة . وانعكس هذا على حياته الخاصة فأحب واضطر الى ترك من أحب لأن روايته حلت من نفسه ومن وقته محل حبيبته ، وعاشر الناس واختلط بهم ، ثم اضطر الى حياة العزلة ، وراسل «لويز كوليه» وكاتبها يوميا تقريبا ، ولكنه فصل نفسه عنها بصرامة أثرت في نفسه آثارا بالغة ، وكان لصديقه مكسيم تشجيع على هذا من أجل فنه . وناقش هوجو وزولا ودوديه وترجينيف ، وكانت له مناقشات ومراسلات مع جورج ساند التي عابت عليه عدم اهتمامه بالشئون العامة من حوله . ولكن بعد سنة ١٨٧٠ (وقد أثرت الحرب في نفسيته) تخفف من كل الصلات شيئا فشيئا حتى ترهب لفنه .

ولم يكن يجد نفسه بسهولة فيما يكتب ، ولذلك نراه يؤلف عدة مؤلفات في آن واحد . يبدأ « مدام بوفارى » رائحته المعروفة ، ثم يعود الى « التربية العاطفية » ، ثم يعود الى « بوفارى » ، ثم يبدأ « سالبو » ثم يتركها لينهى « بوفارى » ويخرجها ، وهكذا . لأنه اذا غرق في « بوفارى » أحس الشوق الى الخيال والرومانسية فيشبع هذا الشوق بأجواء « سالبو » ، فإذا غرق في مناظرها الحية والوانها الزاهية ووقائعها التي يرسمها من التاريخ كيفما أراد لها أن ترتفع الى آفاق الخيال الخصيبة الرائعة ، حن مرة أخرى الى واقع

مدام بوفارى الكالـح البسيط : فيعود الى واقعـه يدقـق فيه بشغف المحروم الذى عثر على ضالته ، يصف مواقف الحرب الوحشية الرهيبة بكل فخامتها وجلالها فى « سالمبو » ليعود يصف الصيدلية فى « بوفارى » بكل دقائقها الباردة . لذلك مثل فلوير عدة مزايا وكان رائدا لعدة مدارس ووجد فيه الرومانسيون والواقعيون والرمزيون خصائص فذة رائدة فى كل هذه الاتجاهات معا .

وكانت قراءاته الخصبة تغذى فيه هذا . فيعكف على « دون كيخوته » لسرفنتيس ليسبح فى خيالها المطلق ، ثم يعكف على كتب التاريخ والآثار ليقرا عن الحرب البونية ليدقق فى وقائعها ويفرق فى واقعها ، والعجيب أنه استلهم دون كيخوته الخيالية « مدام بوفارى » الواقعية ، واستلهم التاريخ التقريرى الواقعى « سالمبو » الخيالية .

لقد شهرته « مدام بوفارى » التى اهتم الناس بموضوعها وبالقضية التى رفعت عليه وعلى الناشر لأنها رواية تمثل الأدب المكشوف أو هى غير خلقية . ولكن الضجة هذات وحكمت المحكمة له ولناشره ، ثم أخذت « مدام بوفارى » تأخذ مكانها الحق من الدراسة الأدبية ، فاذا قدرة فلوير تتجلى فى جملة مناح ، فمن رسمه للشخصية من خلال وصف واقعها الدقيق الملامح والحركات حتى لقد لقب بأعظم رسام للوجوه أو الشخصيات ، الى قدرته على السخرية من البرجوازية المتمثلة فى البطل « هوميه » الغنى الفافل عن كل ما حوله الفارق فى عادات وتقاليد برجوازية زائفة ، تلك الشخصية التى أسماها باسم آخر فى رواية خصصها للسخرية من البرجوازية « بوفار وميكوشيه » سنة ١٨٨١ ، وان لم يكملها (نشرت بعد وفاته) ، الى قدرته على تأمل تفاصيل الواقع بدقة حين يصف بيت مدام بوفارى ، أو الصيدلية ومحتوياتها ، وهو فى كل هذا يسعى لا الى الحقيقة أو الواقع ، وانما الى الحق والجوهر

كما قيل عنه ، انه يصور في صدق متزمت في صدقه ، فاذا الرواية
لاول مرة تتجه عالميا بعنف نحو الواقع مؤمنة بأن رسالتها هي تأمل
الواقع وتصويره بدقة حيادية أمينة . ومن هنا أثرت « بوفارى »
في كاتب كالفونس دوديه بل في زولا نفسه .

ولما نشر « اغراء سانت أنطوان » قابلها النقاد بالبرود الذي
قابلوا به « التربية العاطفية » ، ولكنهم وجدوا فيها فيما بعد مادة
وفيرة لدراسة بذور الرمزية بنفس القوة والوضوح اللذين توجد
بهما الواقعية في « مدام بوفارى » .

أما « سالبو » رائتته ، التي أصدرها سنة ١٨٦٢ ، فلقد
قابلها النقاد ببرود ، ولكن الجمهور أقبل عليها اقبالا عوض فلوير
كثيرا من الثقة بنفسه . انها نسيج فذ من التاريخ والخيال والواقع .
انها تعرض في فيلم استعراضى ، جبار في ثرائه وعظمته ، صورة
مدينتين متناحرتين : احدهما تقوم على البطش والغيبية
والاستغراق في الملاذ وتضطر الى أن تؤجر بأموالها المرتزقة من
الجند ليدافعوا عن أرضها ، والاخرى جادة صارمة تعتمد على ابنائها
في بناء امبراطورية واسعة خارج الحدود الوطنية . ويشور الجند
المرتزقة على قرطاجة بعد أن مكنوها من نصر أول في الحروب
البونية ضد الرومان . ويستغل الرومان الظروف ويغيرون فيقع
الاستبداد الباطش الالهى تحت معاول النظام المؤمن بالأمسة
وبالامبراطورية . وفي خلال هذه الحروب يحيا البشر حياتهم اليومية
بين حرب واخرى بل في اثنائها ؛ حياة الصلاة في المعابد وتقديم
القربان للآلهة الغاضبة والى جوارها حياة الحب الباطش المعذب
وحياة التقاليد والعادات والجرائم والانتقام .

و « سالبو » أميرة قرطاجة الراهبة بنت « ها ملكار » حارس
معبد « تانيت » ، وهى خادمة المعبد أيضا . و « تانيت » هى الهة
الخصب الأنثوى تمثل الأمن والاستقرار ، وينافسها « مولوخ »

اله الاغتصاب الذكر : اله التخريب والانتقام وهو اله المرتزقة .
والراهبة الأميرة الشابة يحبها « ماثو » زعيم المرتزقة الثائرين على
مستأجريهم . وهو عملاق ليبي فظ الطباع ، كما يعشقها أيضا
« نارهافاس » الدنيء السافل من المرتزقة . وينقض « ماثو » على
المدينة ويسرق نقاب الالهة « تانيت » . ولا بد « سالمبو » من أن
تذهب الى الفاصب لتسترجع نقاب العفة حتى تهدأ ثائرة الالهة
فيعود الحظ الى قرطاجة وتكسب الحرب بعد النحس الذي
أفقدتها الموقعة السابقة . وتذهب « سالمبو » الى خيمة « ماثو »
وتدفع الثمن وتسترد النقاب وتهزم قرطاجة المرتزقة ويدفع
« ماثو » الى المقصلة . وفي منظر وحشي يجر « ماثو » أمام عيني
« سالمبو » الى حتفه . ولكن « سالمبو » بنت « هاملكار » تموت
هى أيضا من العذاب . أما اهل قرطاجة فانهم قالوا انها ماتت
تكفيرا عن فقدائها نقابها في سبيل نقاب « تانيت » أى تكفيرا عن
فقدائها عذريتها . وأما الرومانسيون قراء الرواية فقد اختاروا أن
يقولوا انها ماتت من بشاعة ما رأت عندما جرجروا حبيبها
« ماثو » الشاب القوى الجبار أمامها وأخضعوه لأبشع أنواع
العذاب .

ومن خلال هذا الحب الباطش المؤسى تتوالى آلاف الأحداث
والمناظر والمواقف وتتراحم . « هاملكار » الذى يبدل ابنه
« هانبال » بابن عبد يدفع به الى سدة معبد « مولوخ » الثائرين ،
بدلا من ابنه ، غير حافل بعواطف الأب العبد ، وتدوى صرخة العبد
« ولكنى أبوه . أنا أيضا » . ولكن اله الأعداء « مولوخ » غاضب
ولا بد من ابن « هاملكار » قربانا ولا بأس من ابن العبد اذا ما زين
مثله وارتنى ثيابه وزيف على الأعداء على أنه الابن المطلوب .
جبروت وزيف وقيم انسانية مهدرة وغيبية وغرق فى الملاذ ، كل
هذا ينخر فى جسد مجتمع . يمكن أن يعيش بعد ذلك هذا
المجتمع . ان التاريخ يقول : لا . والعدل الانسانى أيضا يقول : لا .

وهكذا تصور « سالمبو » صراع مدنيتين ، وصراع مدنية داخل نفسها ، وقد ثار عليها مستأجروها من الجند ، وصراع آلهة : « مولوخ » و « تانيت » ، وصراع حب في نفس « سالمبو » .

هذه هي حكمة الحروب البونية التي صورها فلوير من خلال مناظر ومواقف وشخصيات هي مزيج من التاريخ ومن فلوير نفسه . ان « سالمبو » صورة أخرى من « اما » « مدام بوفارى » انها مضیعة في الحب والمجتمع المزيف يقهرها والواقع من حولها يقتلها ، واذا كانت اما بوفارى تفشل في حبها فان حظ « سالمبو » أفزع من الفشل .

وأخذ المؤرخون والأثريون على فلوير مأخذ شتى ، مخالفات تاريخية ، معلومات خاطئة ، أشياء لم تكن ، بعض مواضع لا وجود لها ، شخصيات مخترعة أو محرفة النح ، ولكن رغم كل هذا ظلت « سالمبو » وحدها هي الصورة الحية الباقية لهذه الحروب بكل ألوانها الزاهية ؛ وبهتت الى جانبها كتب المؤرخين وتحقيقات علماء الآثار . انها وحدها التي استطاعت أن تنقل حركة هذه الأحداث بكل واقعيتها أمام أعيننا كلما قرأنا الرواية . انها تسمعنا قرعة العظمة ، وصرخات العذاب ، وجبروت السلطان ، وعتو الآلهة ، والى جانبها أنات الدلة وصراخ الظلم ووحشية البدائية الدافقة وعذابات الحب . ومن بعيد تطل حضارة صامدة جديدة تأتي لترث حيناً حتى يأتي اليها من يرثها .

لقد قالوا ان « سالمبو » رواية ذات شخصيات مسطحة تمثل ناحية ثابتة أو رأيا خالصا ، ولكنها لا تتطور ولا تمثل جوانب أخرى من الراى . ان يكن في هذا بعض الحق فان الحياة ، والمناظر ، والأحداث ، والجماهير - كلها لم تكن مسطحة بحال من الأحوال . انها بارزة ومحفورة بكل الأبعاد ، وبكل الألوان لتطابق الحياة بتدققها الرائع مطابقة فذة . ولقد عابوا على فلوير وحشية

المنظر وقسوتها : منظر أربعين الفا من الجند المرتزقة وهم يموتون جوعا ، وقرابين الأطفال الحية ، وتحلل أجساد الجند الملقاة على أرض المعركة الذى يصفه بدقة من درس الطب فى صباه ، ولكن عصر فلوير يختلف عن عصرنا ، ثم ان هذه المناظر لم تكن توصف لذاتها ، وانما هى تأتى لتعكس الحقائق الأهم والأكبر . ولعل انعدام الوحشية فى مجتمع القرن التاسع عشر هو الذى جعله يبالغ فى وصفها ليقنع بها ، كما فعل فى وصف قناة الماء ليقنع القارىء بوجود شيء هو على يقين أنه لم يكن يمكن ان يوجد على هذا النحو فى ذلك الزمان .

ان فلوير بوصفه الدائب ، الصابر ، الذى يعنى بالصغيرة عنايته بالكبرة ، وبسخريته العميقة المتفانية فى احتقار الغباء وغلظ الطبع الذى يفل الذوق فيشل الاحساس بالجمال ؛ ثم برومانسيته المتفجرة المتعايشة مع واقعياته العلمية الدقيقة واللاجئة الى الرمزية الموحية فى بعض الأحيان ، بكل هذا صور لنا الحياة من خلال النفس الانسانية التى تتقلب بين الحرب والسلم دون وعى - أو عن وعى ؛ حرب وسلم فى الحياة من حولها ، وحرب وسلم فى النفس الانسانية فى صراعها مع واقع مرير . انه بسالمبو لم يصور بطلة ، ولم يصور حربا ، وانما هو يصور الصراع بين قيم بشرية قتلاطم على صخرة الواقع .

وهذا الحوار الذكى يكشف لنا عن نقاط مختلفة توقفنا على ميزات أخرى من خصائص هذه الرائعة الخالدة .

سهر القلماوى

الحوار

ليمان بريزون (١) چوستين أوبريان (٢) جلبرت هايت (٣)

بريزون : ان رواية « سالمبو » تعطينا فكرة عن حرب من الصعب علينا ان نتصورها في وقتنا الحاضر ؛ ذلك لأن الأمم ذات الحضارات العظيمة اليوم لا تقيم جيوشها على المرتزقة من الجنود الذين جلبتهم من كل صوب وحذب ، والذين كانوا من الأذلاء في مواطنهم الأصلية . وكان من نتيجة ذلك اننا لانجد دولة تضع نفسها في الموقف الحرج الذي وضعت قرطاجة نفسها فيه في القرن الثالث الميلادي . وتسمى هذه الحرب بالحرب البونية ، وفيها حاربت روما قرطاجة واستخدمت الجنود المرتزقة لمحاربة الرومان ، ثم ضاق المرتزقة بمعاملة القرطاجيين لهم ، فانتقلوا عليهم . وقد روى فلوبيز قصة هذه الحرب في « سالمبو » .

أوبريان : انها لمصادفة جميلة ذات أهمية أنه قد مضى اليوم

(١) Lyman Bryson الرئيس الدائم لندوات (حول مائدة المعرفة) ويعمل أستاذا للتربية في كلية المعلمين التابعة لجامعة كولومبيا .

(٢) Justin O'Brien أستاذ اللغة الفرنسية بجامعة كولومبيا .

(٣) Gilbert Highet أستاذ اللغة اللاتينية بجامعة كولومبيا ، وناقد

أدبي لمجلة هاربر .

تسعون عاما على ظهور الكتاب ؛ اذ كان ظهوره في
٢٤ من نوفمبر سنة ١٨٦٢ .

هايت : وكيف تقبل الناس الكتاب حينذاك ؟
أوبريان : لقد قوبل الكتاب بكل ترحيب من الجمهور ، ولكن
يظهر أن النقاد لم يتحمسوا له كثيرا .

بريزون : والعجيب يا سيد أوبريان أن أغلب الناس لا يقرءون
هذا الكتاب اليوم لمجرد التسلية ، وإنما يقرءونه
للدراست المتخصصة . فكيف تحمس له الجمهور
الفرنسي من مائة عام على ما يحويه من التفاصيل
العلمية التاريخية الى جانب الكلمات الغريبة
عليهم ؟

أوبريان : لا بد أن الكتاب كان شيئا جديدا عليهم ، فقد أقبل
الجمهور على مطالعته بكل حماسة ونفدت طبعته
الأولى في شهر من الزمان ، حتى ان بودلير الذي كان
صديقا لفلوير دهش كثيرا لنفاذ الطبعة .

هايت : ولكنك قلت ان النقاد لم يجدوا مادة تروقهم في
الكتاب ياسيد أوبريان . أو بالأحرى انهم اعجبوا
به ، ولكنهم أخذوا عليه بعض المآخذ .

أوبريان : لقد أعجبوا ببعض أجزائه دون شك ، ولكنهم جرحوا
بعض الأجزاء الأخرى تجريحا عنيفا .

بريزون : على أي الحالات لم يكن هجومهم منصبا على موضوع
الأخلاقيات التي في الكتاب .

هايت : في الحقيقة أن هذا ما يشغلني في الكتاب — حيث انه
مسرح كبير للعنف والقسوة والوحشية لا يخففها أي
سمو روحي على الإطلاق .

بريزون : عنف وقسوة وعظمة لا ترى منها الا بريق الجواهر
وأقنعة سابحة وسحبا ضخمة من البخور وما شابه

ذلك من مقومات الحضارة البراقة في الظاهرة
الفاسدة جدا في الباطن .

هايت : صدقت . فهذا ما يحيرنى بصراحة . ان وقائع
الكتاب تحدث في الفترة ما بين حربين بونيتين
ناضلت فيهما قرطاجة مرة ضد روما ، ومرة ضد
اليونان للسيطرة على البحر المتوسط بأكمله ، وهو
المعروف حينئذ بالعالم الغربى . وكان هذا النضال
في أعماقه نضالا أخلاقيا ، فضلا عن كونه نضالا
سياسيا واستراتيجيا .

بريزون : هذا ما يظهر لنا من هذه المسافة الزمنية . لكن مع
احترامنا لروما - لأنها انتصرت في الحرب في النهاية ،
ولأن حكم التاريخ في صالحها - هل تعتقد من أجل
ذلك أن الصراع كان صراعا أخلاقيا ، وأن حضارة
روما أعظم شأنًا ؟

هايت : هذا ما أعتقده يقينا ، وأؤمن به كل الإيمان . ويخيل
الى أن فلوبيير يحاول اثبات ذلك في كتابه .

بريزون : كيف تتصور ياسيد هايت مايمكن أن يقوله في هذا
الشأن أستاذ في علوم قرطاجة ان كان هناك مثل
هذا الأستاذ في الدراسات اللاتينية ؟ هل يستطيع
أن يدافع عن حضارة قرطاجة ؟

هايت : لا شك أنه سيقول ان قرطاجة كانت دولة استعمارية
عظيمة ، وكذلك كانت لها حضارة تجارية ، وانها
استقرت في جزر الآزور والماديرا ، وجعلت من
اسبانيا دولة متحضرة؛ إذ فتحت طريق التجارة التي
لم يفكر فيها أحد من قبل .

بريزون : ولكن لاتنس ياسيد هايت أنك تستطيع الرد على

هذا الأستاذ بأن تقول له ان اهل قرطاجة كانوا مضطرين ان يستأجروا المرتزقة ليحاربوا لهم ، في حين ان اهل روما لم يضطروا الى ذلك .

هايت : هذا حق . فلم يؤمن اهل قرطاجة الا بالمتعة وجمع المال دون ارهاق ، بينما آمن الرومانيون بما هو اكثر من ذلك .

أوبريان : لكن هل يعقل ياسيد هايت ان يكون هناك أستاذ

لدراسات قرطاجة ونحن لا نعرف عنها الا القليل، حتى فلوبيير نفسه لم تكن لديه المعلومات الكافية عنها وان كان قد قام بكل البحوث الممكنة في ذلك الوقت ؟
هايت : انك على حق ياسيد أوبريان ، فأستاذ للدراسات عن قرطاجة لابد ان يكون أستاذا لآثار الشرق الأدنى ولا بد ان تكون لديه معلومات وافرة عن التماثيل والزخارف والعقائد والشعائر الفامضة - وما الى ذلك مما جاء في سالمبو - فان وجد هذا الأستاذ فلن تكون لديه معلومات أكثر من هذه ؛ اذ الحقيقة أن ما يدعى الأساتذة معرفته ما هو الا البسيط عن الأخلاقيات ، ثم عن السياسة والمثل الروحية العليا .

بريزون : أعتقد أن هذا لا يهم كثيرا من ناحية الأدب . أما من الناحية التاريخية فله الأهمية العظمى . ان ما أفهمه هو أن فلوبيير قد هاجمه نقاد عصره كما هاجمه نقاد الآثار ، ولكنه انتصر عليهم جميعا . . ولم يستطع أحد في الواقع أن يسجل خطأ على فلوبيير ؛ اذ أن كل ما نعرفه الآن عن قرطاجة قد سبق لفلوبيير أن عرفه ، رغم فارق الزمن .

أوبريان : هذا حق ياسيد بريزون ، فانه قرا كل ما كتب عن الموضوع في أيامه .

بريزون : وتعلم كل اللغات الممكن تعلمها أيضا .
أوبريان : لاشك أنه درس الموضوع بأمانة تامة وعرف كل الحقائق عن قرطاجة . ولقد تفوق في هذه الدراسات على سانت ييف وجميع مهاجميه من النقاد .

بريزون : لقد بدأ فلربير يصف قرطاجة مستعينا بالطبع بأسلوب قصصى ، فكيف صور لنا قرطاجة ؟

أوبريان : لقد تناول في هذا الكتاب الحرب التى بدأت سنة ٤٢١ قبل الميلاد بين قرطاجة ، بجنودها المرتزقة الساخطين ، ونسج فى خلالها قصة غرام بين الأميرة سالمبو ، العذراء التى كرست حياتها للآلهة تانيت رمز الأنوثة الخصبة ، والقائد البربرى ماثو الذى كرس حياته لمولوخ رمز الوحشية المدمرة المتمثلة فى الذكر الذى يلتهم كل شىء . ولا يغيب نظر فلوبير عن هذا التناقض : ان هذا الوغد منجذب الى الفتاة الجميلة ، انجذابة الى قرطاجة .

بريزون : وماثو هو بالطبع قائد المحاربين المرتزقة .
أوبريان : نعم . اننا نجده طوال القصة محاصرا لقرطاجة يفتك بالكثيرين من اهلها .

هايت : هذه فكرة طيبة لم تخطر لى ياسيد أوبريان . الكتاب اذن فى أعلى مستوياته صراع بين مبدأين نعتبرهما بدائيين ؛ وهما : مبدأ الرجل المخرب ، ومبدأ الانثى البناءة المحافظة . وأعصب اوقات قرطاجة هو فترة حصار المرتزقة لها ، وقيام القرطاجيين بتقديم الاضحيات لمولوخ بحرق ابنائهم هم .

بريزون : هذان المبدآن متأصلان كل التأصل في جميع الأديان البدائية ، أو بالأحرى في جميع الصور البدائية لهذه الأديان ، إذن فهذا وصف صادق لمثل هذا النوع من الحضارة .

أوبريان : بعد عدد من المعارك الطاحنة التي قتل فيها مايزيد على ٤٠٠٠ رجل يقودنا فلوبير في النهاية الى تقديم الأطفال قربانا ليحترقوا داخل أفران مولوح المتوهجة - ومما يزيد وصف نهاية القصة تأثيرا في النفس ما صوره فلوبير بأن جعل البرابرة يقفون خارج قلاع قرطاجة وقد أخذتهم الرهبة وهم يشاهدون القرطاجيين يذبحون أبناءهم .

بريزون : هذا تعليق جميل على الكتاب يا سيد أوبريان ، فبينما تذكر أنها قصة غرامية بطلتها سالمبو ، اذا بسير الحوادث ينسينا اياها ، ومن المحتمل أن فلوبير نفسه قد نسيها . وعلى أية حال فهناك قصة غرام تمشي وراء الحقائق العلمية التاريخية والأثرية .

أوبريان : هناك قصة غرام ولا شك . وسالمبوهنا تشبه «اما بوفارى» في القصة التي أتمها فلوبير قبل تأليف هذا الكتاب . ولعله سئم من وصفه للحياة العادية للناس من أهل نورماندى ، فحول وجهه نحو بريق الشرق محتفظا بهذا النوع من الرومانسية ، فلقد وضع في حياة سالمبو من العذاب والألم مثلما وضع في حياة السيدة النورمندية الصغيرة .

هايت : ألا تعتقد ياسيد أوبريان أن في القصة طابع الوحشية - هذا ما أراه أنا حقيقة - فحين أقرأ الفصل تلو الفصل في سالمبو ، فأنى أتأثر بالفخامة والعظمة والغنى

والشدوذ والفسوة في كل أجزائها ، ولكنى حين
أتبع خيط القصة الرئيسى أرى فتى يعشق فتاة
من بعيد ويبادلها الغرام مرة واحدة ثم يفترقان .
وفي النهاية يعدم الفتى في وحشية على مرأى من
الفتاة التى تموت من أجل الحب بطريقة رومانسية
حديثه ، طريقة قد تكون بدأت في القرن الثانى عشر ،
ولكنها كانت أبعد ما تكون عن تفكير أميرة قرطاجية ،
أو بربرى مرتزق .

أوبريان

: الواقع أن الفكرة نشأت في القرن الثانى عشر ، إلا أن
الرومانسيين كانوا مولعين بها - وفلوبير كان
رومانسيا بقدر ما كان واقعيا - فهو يحاول هنا أن
يصور النقيضين في وقت واحد . فهو يصور
الحضارة القرطاجية البائدة بكل الواقعية التى
استعملها في وصف حضارته المعاصرة ، وهو في
الوقت نفسه يصور قصة مفرقة في الرومانسية
للحب المعبذب الخائب بين شخصين متناقضين انتهى
بمأساة ، هى موت الفتاة .

بريزون

: هل لى أن أصحح بعض الشيء وصف السيد هايت
للقصة ؟ لقد عرضها على نحو جعلها أشبه بأفلام
هوليوود . لقد جاء في الكتاب بوضوح أن سالبولم
تمت بسبب الغرام ، ولكن لأنها اقترفت اثما بفقد
عذريتها المثالية .

هايت

: أن هذه هى الكلمات الأخيرة للكتاب . وأنت على حق
حيث تقول : « وهكذا ماتت سالبولم ، لأنها مست
حجاب الآلهة تانيت » - ورغم هذا فإن هذه الفكرة
لم تكتب إلا في الفصل الأخير من الكتاب . هو موكب

طويل وسخيف ، بل هو من أسخف المناظر في جميع الأعمال الأدبية ، ألا وهو موكب ماثو يسير بمفرده خلال قرطاجة وهو يتعذب بكل ألون العذاب الى أن يسقط صريعا أمامها ، ولا تظهر بوضوح فكرة سالمبو الأميرة وقد اقترفت اثما يحاربه الدين ، بل بالعكس نجدها في مقدمة الاحتفال سعيدة لقرب زواجها من مخلص قرطاجة ، ومن أجل هذا فان الاثم يأتي في الجملة الأخيرة فقط لتغطية الحقيقة . انه يقدم قصة غرامية بحتة .

أوبريان : ترى ياسيد هايت هل أتى فلوبير بالقصة الغرامية ليستر أشياء أخرى ؟ اننى أميل الى الاعتقاد أن فلوبير قد وضع هذه الجملة الأخيرة للدلالة على ما اعتقده الناس في هذا الموضوع . فحينما رأى اهل قرطاجة سالمبو وهى تسقط ميتة قالوا لأنفسهم : « آه .. نعم .. لقد سقطت ميتة لأنها هتكت قناع الآلهة » ..

بريزون : ونحن نراه بأعيننا الأكثر تفوقا والأكثر مدنية والأكثر حساسية ، ونقول انها ماتت لأنها لم تستطع أن ترى عشيقها يعذب حتى الموت . اليست هذه هى الحقيقة ؟

هايت : اننى متأكد أن هذا حق . فالحب الرومانسى جميل وفريد في نوعه ، ولكنه على أية حال ظاهرة تقديمية ، ولا يمكن لانسان أن يطبقها بنجاح في جميع أنواع الحضارات القديمة وخاصة الحضارة السامية .

بريزون : لقد قلت منذ لحظة ياسيد أوبريان أن فلوبير أخذ على عاتقه أن يطبق واقعية « مدام بوفارى » على

أوبريان : العالم القديم . وهذا مهم جدا . ولكنه لم يفلح .
: نعم . اعتقد أنه لم يفلح . لأن واقعته كانت تلتزم
الدقة الفائقة . ولقد نجح في وصفه التفصيلي
الدقيق للصيدلية في قصة « مدام بوفاري » وفي
وصفه لأجزاء المنزل الداخلية وفي تصويره لعواطفها
واحساسها ، فحاول أن ينهج هذا النهج في تصوير
شخصيات سالمبو وماتو وغيرهما . ولكنه شغل
بذكر التفاصيل الاثرية التي تكشف له من قراءاته ،
فجار ذلك على وصفه للشخصيات ، وكان سببا في
فشله .

بريزون : هل تعنى بذلك أن حبه للدراسة والبحث قد قتل
فيه الموهبة القصصية ؟

أوبريان : نعم . هذا هو شعورى .

هايت : لقد كان فلوير شديد العناية بالتفاصيل الدقيقة .
واننى أتذكر واقعة في الكتاب حيث نرى الجنود
المرتزقة وهم يبحثون عن قائد في جيش العدو حتى
اهتدوا اليه . اننى لو قدر لى أن أصف هذا الجادث
أو قدر لأحد آخر لقال ان القائد وجد أخيرا متخفيا ،
ولكن فلوير لا يقتنع بمجرد هذا ، بل يقول لنا انه
اهتدى اليه عن طريق ثلاثة من الرعاة السامنيين ،
فما أهمية أن يكونوا ثلاثة رعاة ، أو ثلاثة وثلاثين ،
أو أن كانوا من أهل سامنيوم أو غيرها ؟

بريزون : ان فلوير يحاول أن يشعرك بالتاريخ ، ولكنه يفشل ،
لأن هذه ليست هى طريقة اشعار القارىء بالتاريخ .
والآن ياسيد هايت ، هل تسمح لى بأن أعود لنقطتك
الأولى : أى المسألة الخلقية في الكتاب . اننا نجد

أن بوليبيوس ، المؤرخ اليونانى الكبير لنفس هذه الفترة ، يروى لنا القصة الرومانية فيتمكن من اشعارك بها لأنه يتناول جانبها الأخلاقى أو الروحى .
أليس كذلك ؟

هايت : حقا . الا تظن أن فلوبير كان يحمل فى نفسه احتقارا للجنس البشرى فكان فى اعتقاده أنهم اما أغبياء واما قساة ، واما أغبياء وقساة معا . لقد كان أهل قرطاجة أغبياء وقساة ، هذا عدا قائدهم هاملكار ، اما الجنود المرتزقة فكانوا أذكىاء وقساة ، وكان هذا كل ما فى الأمر ؛ فالفرق كله هو الفرق بين النمل الأحمر والنمل الأبيض .

أوبريان : اعتقد أنك تغالى كثيرا بقولك ان الجنود المرتزقة أذكىاء وقساة . لقد كانوا حقا قساة ، ولكنهم لم يكونوا كلهم أذكىاء . لقد كان هنالك عبد يونانى واحد . ولقد أصاب فولبير فى اختياره ليكون الرجل الذكى الوحيد من بين المرتزقة جميعا .

هايت : هل تتذكر ياسيد أوبريان أن ذلك اليونانى هو الذى دبر الخطة العظيمة الاستراتيجية التى كادت تكسب الحرب للمرتزقة ؟ . ان هذه الواقعة من أجمل الوقائع فى الكتاب . وانا أتذكر أنى شاهدتها مرة فى فيلم صامت ايطالى منذ زمن بعيد . انه اليونانى الذى يفكر فى قطع قناة المياه ، وانه من الصعب جدا أن يصل الانسان الى هذه القناة . ولكن اليونانى هو الذى تمكن من الوصول اليها واستطاع أن يقطعها . وهناك منظر عظيم آخر ، حيث يندفع النهر من القناة المقطوعة ، ونرى على القمة رجلا

يرتدى أسملا بالية وهو يتطلع اليها . انه لمنظر رائع . انه ذلك اليونانى الذكى .

أوبريان : حقا انه لمنظر رائع . وقد أجهس فلوير نفسه فى كتابته ، حتى انه بعد أن فرغ منه نقده أحد النقاد بقوله : « ان فلوير صور هذا المنظر بأكمله لاطهار هذه القناة » . فرد عليه فلوير بقوله : « ان المشكلة الكبرى التى واجهتنى هى اننى كنت أعلم علم اليقين ان قرطاجة فى ذلك الوقت لم تكن بها قناة مياه ، ولكن كان على أن أخترع لها قناة ، وأن أصفها كما لو كانت حقيقة .

بريزون : لقد عنى ذلك الباحث المدقق بالتفاصيل الحربية ، وقد أجهد نفسه فى إبرازها وان فقد الرومانسية فى الطريق . فهل هذا دليل على صعوبة الجمع بين الدقة التاريخية والدقة الرومانسية .

أوبريان : أعتقد أن هذا حق ياسيد بريزون . فالرومانسية قد ضاعت الى حد ما حين أخذ القراء الفرنسيون فى السنوات التالية يشعرون أن اسم سالمبو ليس لبطل رومانسية ، بقدر ما هو اسم لحرب مثيرة اتسمت بالوحشية والضراوة .

بريزون : ان السبب فى عودتى الى رومانسية القصة ياسيد أوبريان هو أنك قلت ان سالمبو كانت منذ مائة عام شخصية محبوبة جدا .

أوبريان : لقد كانت حقا كذلك ؛ ففى سنة ١٨٦٣ مثلا ، ولم يمض على نشر القصة بضعة أشهر ، ذهبت مدام رمسكى كورزاكوف الى حفل راقص فى باريس وهى ترتدى رداء أزرق وشى بالنجوم ، وكانت هذه

النجوم تمثل قناع تانيت كما كانت تلقى وسطها
بشعبان . ولا أدري هل كان ذلك شعبانا حقيقيا ،
أم وهميا . كذلك توعد خيال المؤلف الموسيقى برلوز
بقراءته لسالمبو حتى انه طلب من فلوبر أن يكون
مستشاره الفني في اختيار الحلل الفينيقية التي
ستلبس في أوبريت الطرواديين . وكان فلوبر يأمل
أن يؤلف برلوز أوبرا تدور حول قصة سالمبو .

هايت : في الحقيقة ياسيد أوبريان قصة سالمبو لم تكن مؤلفا
عن الآثار القديمة أبدا ، انها كانت مؤلفا من المؤلفات
العديدة التي دارت حول الشرق اذلك ، كما دارت
حول الشرق الأوبرات التي ألفت في نفس هـذم
الفترة تقريبا . انها مثل أوبرا عايدة لفردي ،
وروايات بيرلوتى وغيرها .

أوبريان : تماما ياسيد هايت ؛ فقد كان فردي في باريس في
ربيع سنة ١٨٦٣ ، وتقدم اليه الشاعر تيوفيل ،
وكان يأمل أن يؤلف فردي له أوبرا ، ولكن لسوء
الحظ رفض فردي أن يقوم بذلك .

بريزون : ولكن فلوبر كان فنانا جادا مكابدا وأحب أن يقرأ
الناس مؤلفه ، كما أحب أن يكون ناجحا ، ومع ذلك
كان يحتقر القراء ويكرههم . ولربما كانت له أغراض
في ذلك ، فهل كان من غرضه أن يثبت ، كما لاحظ
السيد هايت منذ لحظة ، أن النورمنديين كانوا
أغبياء ، والقرطاجيين كانوا قساة ، وأن كلا الفريقين
لا يساوى شيئا ؟ !

أوبريان : أظن أيضا أن فلوبر كان له غرض فني رفيع جدا ؛
فقد كان يؤلف لنا عملا فنيا من عصارة قلبه ، وكان

يختفى عن عالمه هذا الحديث ، كى يستطيع أن ينتج
عملا كاملا ، كى ينتج قطعا فنية من الوصف الجميل
الحسن الصقل المتعدد الألوان ، كل ذلك بأسلوب
فنى مبدع .

هايت : هل تعنى بذلك أن فلوير كان يعتقد أن العالم الذى
يصفه أرقى من العالم الذى يعيش فيه ؟

أوبريان : يجب ألا نذهب إلى هذا الحد . أنه ربما شعر أن
العمل الفنى الذى يتمخض عنه وصفه لهذا العالم
القديم أجمل من أى شىء فى العالم المعاصر .

هايت : لقد كانت تلك الصورة الفنية تزدهى بألوانها ، كما
كانت أكثر عمقا وأكثر حيوية من الواقع .

بريزون : ولكن هذا العالم القديم كانت له بعض المزايا . وكانت
به أشياء أحبها أكثر مما أحب عالمه - فرنسا فى
القرن التاسع عشر .

أوبريان : نعم ، لقد كانت هذه طريقته فى الهروب من الواقع .

هايت : هل تظن ياسنيد بريزون أن من الأرجح أن نعتبر أن

فلوير كان يفضل وصف مائة من الناس والأفئال
تطوهم بأقدامها إلى أن يموتوا على أن يصف مائة

أخرى ذاهبين إلى أعمالهم عن طريق قطار النفق
فى الثامنة والنصف صباحا وعائدين فى الثامنة مساء .

لقد كان فلوير يشعر أن كليهما يسير إلى الموت .

ولكن أولهما يموت بطريقة أحفل بالمعانى والألوان .

أوبريان : على أى حال لقد قصد فلوير أن يتسلى فى وصف

أناس تطوهم أرجل الفيلة فيموتون .

بريزون : السبب فى ذلك أن هذا الوصف كان أكثر صعوبة .

أوبريان : ربما أنه لم ير قط أناسا يموتون تحت أرجل الفيلة ،

فذهب وقام بالبحوث الكثيرة حتى يكون واقعيا .
كما أنه اعتمد كثيرا على خياله . أما ذهاب الناس
الى قطار النفق تحت الأرض متوجهين الى اعمالهم -
فهذا بطبيعة الحال لم يكن له وجود أيام فلوير .

بريزون : لقد فعلوا شيئا مماثلا لهذا . ولكن علينا أن نحذر
الانخداع . والواقع أن عظمة قصة «مدام بوفارى»
أن فلوير يصور منظرا عاديا ، أشبه في عاديته بذهاب
الناس الى قطار النفق ، فيجعلك تراه في صورة
تختلف عن تصورك له حين تكتفى بالقاء نظرة عابرة
عليه كل يوم . ولكنه فشل حين أراد تطبيق هذه
الطريقة نفسها على التاريخ ، فشل لأنها لا تصاح له .

أوبريان : كلا . ان المثل الذي اختاره السيد هايت عن الجنود
المرتزقة وهم يموتون تحت أقدام الفيلة مثل رائع
لأن هذه القصة مليئة بمثل هذه المناظر الوحشية
التي زخرت بالفظاظة . ففلوير يصور لنا أربعين
ألف رجل يموتون جوعا ، كما يصور لنا الجروح
وهي تنزف بالدماء ، والجثث المتعددة الملقاة في
ساحة المعركة . ويصور لنا كل الجروح التي أحدثتها
الزُمَاح ويعرض علينا الطقوس الجنائزية . ان كل
شيء فظيع يصيبك كان يحبه فلوير ويرحب به .

بريزون : لقد كان كاتباً كبيراً جداً يأخذ على نفسه أن يقوم بهذه
الأشياء الصعبة جداً يا سيد أوبريان . فهل زاد
هذا من قيمة الكتاب ؟

أوبريان : لست أدري ياسيد بريزون هل الكتاب عظيم أم لا ؟
فلنحاول أن نقارنه بروائع القصص العالَمي ، هل نراه
في مستواها ؟

بريزون : وماذا ترى في « مدام بوفارى » ؟
اوبريان : اننى أعتقد أنها من الروايات الرائعة .
هايت : وماذا ترى في هذا الكتاب ؟
اوبريان : فلوبير كتب رواية عظيمة واحدة ، ولكنى لا أظن أنها هذا الكتاب .

هايت : لقد كنت أفكر في هذا الموضوع - ان الكتاب يتناول موضوعا يشغلنا دائما . انه المحادثة مع الآثار القديمة . فان الناس حينما يقرأون الانجيل يفكرون في الماضى القديم وعلاقتنا به . فكلما تطالع الناس الى الفن اليونانى ، أو كلما درسوا القانون الرومانى أو الأدب القديم ، فان ذلك هو ما يقومون به أيضا . أنهم يحاولون خلق رابطة مع الماضى . وهذه العلاقة في رأى خاطئة . انها علاقة لاتجوى قيما روحية ، كما أنها تورث التشاؤم العميق . وليس هذا في الواقع هو الدرس الهام الذى ينبغى أن نستخلصه من التاريخ القديم .

بريزون : ربما لا . ولكن الى جانب ما وجهتماه الى فلوبير من اطراء على أنه استطاع ايجاد حل للمشكلات الفنية البالغة الصعوبة ، والى جانب الأسلوب الفخم المنمق ، أحب أن أقول اننا للأسف لا نملك غير هذا الكتاب سبيلا لفهم حضارة قرطاجة . انه لا يقدم لنا الصورة الكاملة . انه لا يعطينا السبب الحقيقى الذى دفع الأبطال العظام من أهل قرطاجة الى محاربة الرومان حتى الموت . ومع ذلك ، ومهما يكن من أمر ، فان ماكتبه فلوبير عن هذه الحضارة هو الأثر الوحيد الذى تبقى لنا عن حضارة قرطاجة .

حرب البولوپونيز

The Peloponnesian War

لثوسيديدس

Thucydides

توسيديدس

توسيديدس - (٧١ ، ٦٠ ، ٥٥ ق . م . -
٤٠٠ ، ٢٩٥ ق . م .) مؤرخ يونانى من اعظم
المؤرخين وأعمقهم تحليلا للأحداث والأشخاص .
لا يعرف تاريخ ميلاده ولا تاريخ وفاته على وجه
التحديد . والمعلومات عن حياته قليلة نادرة .

درس الخطابة والفلسفة وورث عن أبيه مناجم
ذهب في « ثراس » ولكنه لم يظهر على مسرح السياسة
الا سنة ٣١ ق . م . دافع عن أثينا أمام غزو
اسبرطة واعتدائها ولكنه عد مستولا عن سقوط
« أمفيبولس » ، فنفى وظل منفيا حوالى تسعة عشر
عاما قضاها في كتابة تاريخه عن « الحرب البولوبونية » ،
وهو كتابه الأوحى الذى يؤرخ عشرين عاما من أعوام
هذه الحرب السبعة والعشرين .

له في كتابة التاريخ فلسفة ، وطريقته علمية
دقيقة محايدة الى أبعد مدى ، ويكشف أسلوبه عن
قدرة بلافية ممتازة .

تعريف بالكتاب والمؤلف

هذا كتاب يرجو له صاحبه أن يكون ذخرا خالدا لأنه يمكن أن يكون مفتاح المستقبل . يقول في مقدمة الكتاب انه كتبه : « الى هؤلاء الذين يؤمنون أن المعرفة الدقيقة بالماضي هي مفتاح المستقبل الذي سيكرر ، في أغلب الظن ، الماضي أو يقلده . ان هذا الكتاب يرجو أن يكون خالدا لا مجرد متعة بلاغية آنية ، انه يرجو أن يكون ذخرا خالدا على مر العصور » .

بهذه الغاية التي وضعها نصب عينيه راح ثوسيديدس المؤرخ اليوناني يؤرخ لحرب فريدة في التاريخ هي حرب « البولوبونيز » . حرب أقدمت عليها أثينا بدافع لم تستطع له ردا ، فأسقطت نفسها وانتحرت تاريخيا ، وكان في يدها أن تقف عند حد . ولكنها استمرت ، لماذا ؟ ان الحرب لم تكن محتومة ، فما الذي حتمها ؟ هنا نقطة الظلام التي تستعصى على كل القوانين . فمهما نستخلص من قوانين تنظم العلاقات وتتنبأ بالسلوك بين الفرد والفرد ، أو الفرد والجماعة ، فهناك نقطة ظلام تفسد قدرة هذه القوانين على أن تكون مطلقة . ونقطة الظلام تلك التي تفرض ما لا يفسره القانون وتحتمه ، هي لباب المأساة في كل تاريخ .

لقد تكفلت أثينا بحماية بعض المناطق حولها لتفوقها في القوة البحرية ، وكانت اسبرطة - وهي قوة أرضية ناشئة - تحاول هي الأخرى أن تسيطر حمايتها على ما حولها . ودخلت أثينا مع « كورنثا » ، وهي من محميات اسبرطة ، في نزاع فأغارت اسبرطة على أثينا ومينائها « بيرا » سنة ٤٣١ ق.م. وبذلك اندلعت الحرب

الپولوپونية . وقاومت أثينا وانتصرت ، ثم أغارت بدورها منتقمة . واجتاح وباء الطاعون أثينا ، ومات حاكمها « بريكليز » العظيم ، ومع ذلك رفضت طلب اسبرطة للصلح . وتحول التيار نحو اسبرطة بعد أن غزا بطلها الشاب « براسيدا » امفيپولس سنة ٤٢٤ وانتصر . ونقطة التحول تلك هامة في حياة المؤرخ ثوسيديديس لأنه كان مكلفا بالدفاع عن منطقة قريبة من امفيپولس ، فلما استنجد به قائدها جاءه بالنجدة بعد فوات الأوان ، وان يكن قد أنقذ في طريقه جزءا آخر من محميات أثينا . وبسبب هذه الهزيمة في امفيپولس نفى مؤرخنا تسعة عشر عاما ، استغلها كلها في كتابة كتاب التاريخ الذى خلد اسمه . لقد خانه الخلود في الحرب ، ولكنه كفر عن خيانتة له بأن أجزل له في عالم التأليف والفكر . وانتهت الحرب بفوز اسبرطة التى تزعمت زمانا قصيرا ، ثم هوى المجد الحربى اليونانى كله .

وكانت هذه الحرب برا وبحرا واشتملت أحداثها على بطولات وخيانات ومواقف وحشية وأخرى انسانية . وراقب المؤرخ المنفى أحداثها حتى انتهت سنة ٤٠٤ ق.م. ومباشرة ، بل في أثناء الحرب ، أخذ المؤرخ العالم ثوسيديديس يسجل الأحداث ويجمع المعلومات . وكان يفهم التاريخ على نحو جديد . يقول في الجزء الأول من الكتاب - وهو مقدمته التى جعلها خاصة بذكر أسباب الحرب : « ان التاريخ الذى ألفه الناس الى اليوم نوعان : نوع يمثل هوميرو ، وهو الذى يفخم الماضى ويبرز روعته ولو على حساب الحقيقة ليكسب أسلوب الشعر جماله ، ونوع هو مجرد سرد أو نشر للسجلات مثل مسجلى « أيونيا » الذين يرصدون الأحداث مجرد رصد ويجمعون المعلومات مجرد جمع ، اما من أفواه الرواة واما من السجلات الرسمية المكتوبة . وهذا أسلوب في التاريخ يعجب الجمهور الذى يريد أن يشبع حب الاستطلاع أو الذى يريد أن يعلم » . وأدرج ثوسيديديس

المؤرخ القديم هيرودوت ضمن كتبه السجلات هؤلاء . ولكن التاريخ في نظرة عملية أخرى - عملية أكثر فلسفة ، انها درس وتحليل يقول : « أنا لا أريد أن أكتب لأمتع ، وإنما أنا أكتب للدارسين . اشخص المرض وأبين عوارضه . فإذا أصيب الناس به لا يكونون في ظلام وإنما يعرفون ما هذا الذي أصابهم . وقد لا يقوون على درء المرض ، وإن عرفوه ، ولكنهم إذا أصيبوا به عرفوه ، فكانوا من أمره وأمر أنفسهم على بينة » . انه يريد من التاريخ أن تكون حوادثه منابع فكر سياسي تعلم دروسا للأبناء وللأجيال القادمة . ولذلك هو لا يجمع الحوادث مجرد جمع ، وإنما هو يدقق دقة يصفها بقوله : « لم أبح لنفسي أن أسجل حوادث تلك الحرب كما سمعتها من راو يصادفني ، أو أن أتحكم أنا فيها ، فأثبت ما أريد وأرد ما لا يعجبني حسبما أهوى . ان تاريخي يعتمد على معلومات تأتيني مما شهدت بعيني ، أو مما محصت حقيقته بعد الرجوع إلى جملة مصادر . وكان العمل شاقا عسيرا . فالحادث الواحد لا يتفق اثنان من شهوده على روايتهما له . ان اختلاف قوة الذاكرة من فرد لآخر ، ثم التعصب لفريق دون فريق ، كل هذا يتدخل فيجعل الشاهدين يختلفان في أقوالهما » .

وهو لا يكتفى بالدقة ، وإنما يعتقد أن للتاريخ فلسفة ، وأن له قواعد ، وأن نفس المقدمات لا بد مفضية إلى نفس النتائج ، وأن المؤرخ لا بد أن يستخلص القوانين من خلال ما يدرس من أحداث ، ولا بد له من درس نفسية الفرد والجماعة والموقع الجغرافي وطاقاته على النصر أو الهزيمة . وكذلك لا بد من دراسة النظم السياسية والموارد الطبيعية والاقتصادية . وبكل هذا يستطيع أن يصل إلى منطقة من التفكير تفرض فلسفة للتاريخ فرضا . وإذا هو مثلا يرى قانون تعاقب أشكال الحكم من استبداد ينتهي إلى ثورة عليه ، ثم قيام حكم أقلية ينتهي إلى تدمير يقود إلى الحكم الديمقراطي ،

ثم ما تلبث الديمقراطية ان تقود الى فوضى تنتهى بعودة الحاكم المستبد مرة أخرى . .

لقد امتاز هذا التاريخ بالفلسفة وبالذقة ؛ ذلك أن المؤرخ قد أتاحت له فرصة أن يشارك في الحرب بنفسه ، وأن يروى التاريخ لقوم عاصروا الأحداث وشاركوا فيها فاستطاع بذلك أن يتجه في قوة نحو منطقة الظلام تلك ، يدرس ويعمل ويستقصى لعله يجد لها قانونا .

ولكن أشهر ميزة لهذا التاريخ هي حياد المؤلف حيدة استرعت نظر القدامى والمحدثين على السواء . انه ارستقراطي ورث عن أبيه مناجم ذهب وعاش في ظل ديمقراطية نبذته ونفته ، ومع ذلك ينصف هذه الديمقراطية ويدرسها درس العالم المحلل لظواهرها وعوارضها . وهو يؤرخ لحرب ظلم فيها وكان يحارب في جبهة ضد الأخرى . ولم يكن مؤمنا بأن هذه الحرب كان يجب ان تقوم ، أو أن فيها جدوى ، أو أن لها سببا معقولا ، ومع ذلك استطاع أن يرى خطرها ؛ فبالرغم من أنها داخلية محدودة قليلة الجيوش نسبيا ، فقد كانت مشار انتباه العالم كله ، واحست المناطق النائية مثل فارس أن نتائجها لابد مؤثرة فيها بشكل أو بآخر . وفي عواطفه الشخصية كان سياسيا منافسا « لبريكليز » ، ومع ذلك انصفه وجعله سيد الخطباء الذين روى خطبهم لأنه فعلا كان كذلك .

لقد أدخل ثوسيديدس الحرب الى المخبر وراح ، بدقة العالم الذى يدرس خواص المواد ، يدرسها وساعدته على ذلك عدة عوامل . أولها أنه شارك في السياسة وفي الحرب ، وثانيها أنه كتب التاريخ ابان الحرب نفسها ، وثالثها أنه ، لأنه نفى وغضب عليه ، استطاع أن يطمئن اليه الأعداء فأدلوأ اليه بوجهة نظرهم دون حرج . كذلك استطاع ، لأن عملا آخر لم يشغله ، أن يذهب الى مناطق القتال بنفسه ، وأن يعيش فيها وحولها ليدرسها دراسة جغرافية مازالت

الى اليوم مرجعا هاما وبخاصة وصفه لسرقسطة ، كذلك اتصل
بالسجناء في أثينا ، وتعتبر المعلومات التي كتبها عنهم وعن سجنهم
وثيقة هامة في تاريخ السجن والفترة . واستطاع بذكائه ان يسأل
الشهود اسئلة ذكية محصورة في النقط الرئيسية . اما مرض
الطاعون الذي اثر في سير الحرب ايما تأثير ؛ فقد شارك المرضى في
مرضهم به وراح يصف آلام من حوله .

ولا يمكن ان نترك الكتاب دون وقفة امام الخطب التي انطق
المؤرخ بها قواده ؛ فهي تصل الى ربع الكتاب او خمسه ، ويرتفع
فيها أسلوب المؤرخ الذي درس الفلسفة والخطابة في شبابه الى
تدري مشرقة تفوق القيم البلاغية التي يصل اليها في الوصف او في
السرد . وأول ما نسأل انفسنا هو : كيف يمكن ان نوفق بين حرص
المؤرخ على الصدق الدقيق وبين هذه الخطب التي يرويها على انها
بالفاظها مما قاله هؤلاء القادة ؟ اما هو فيقول :

« اما الخطب التي يقال عشية الحرب ، او ابانها ، فقد كان من
الصعب على وعلى من امدوني بمعلوماتهم وتقاريرهم ان نتذكر كلماتها
التي قيلت بعينها ، ولكنني انطقت القادة بما يلائم المقام وفي نفس
الوقت حرصت قدر المستطاع على سلامة النص وحرفيته
ما استطعت الى ذلك سبيلا . »

وعلى ذلك فالخطب متشابهة الأسلوب الا في حالة « بريكلير » ،
فاننا نجد الخصائص الخطابية التي اثرت عنه ، والتي ذكرها أرسطو
وبلوتارك في كلامهما عنه ، تتجلى فيما رواه المؤرخ اليوناني القديم
من خطبه . وفي الخطبة « الجنائزية » بالذات يصعد قمة لا يصعداها
غير « بريكلير » في كل ما روى من خطب . وقد يحتفظ المؤرخ
بخصائص بعض المشهورين من الخطباء والقادة . والخطب التي
قيلت قبل نفيه قد يكون حافظا لبعض فقراتها ، ولكن الخطب
عامة في كتابه هامة ، لا بأسلويتها ، وانما بالحقيقة المأسوية التي
تتجلى فيها . وقد يضادفنا انتحال هنا أو هناك كأن يذكر بعض

القادة حججا تأتي فيما بعد كرد على ما سيثير العدو من نقاط ،
ولكن بالرغم من هذا ، وهو قليل ، نجد الخطاب هي روح الكتاب
وحياته .

ولقد كانت ظروف أثينا الاجتماعية والفنية والسياسية تحتم
إبراز وجهة نظر القادة بهذا الأسلوب المسرحي الحي ؛ ذلك أن
اليونان ألقوا هذا في حياتهم السياسية ولم يكن شاب في أثينا
لا ينتمى الى مجموعة من الناس تناقش سياسة البلد وتسمع في
محافلها وجهات النظر المختلفة خطابة . ان وجهة النظر مقولة
حية ، وعلى لسان صاحبها ، تناسب عصر الخطابة السياسية
الذهبي ، بل عصر خطابة المحافل الاجتماعية والقضائية والدينية
الذي عاشت فيه أثينا آنذاك . ان حياتهم السياسية كلها شيدت
على خطابة القادة ، فأى تاريخ دون خطابة لم يكن من الممكن أن
يستساغ من الأثينيين الذين كتب لهم ثوسيديدس تاريخيه .
كذلك كان المسرح يلعب دورا هاما في الحياة في هذا العصر ،
وبخاصة المسرح الملحمي ، وفيه يقف القائد دائما خطيبا ، أقوى
عند الأثينيين الحسن بأن الخطاب هي محرك السياسة الأكبر
والأقوى ؛ لأنها تمثل وجهة نظر القادة الذين يصنعون التاريخ .
ان تاريخ ثوسيديدس قيم في سرده ومنطقه وملاحظاته
وفلسفته ، ولكنه يفقد روحه لو حذفت منه هذه الخطب . انها
الضوء ينير التفكير السياسي الذي أراد أصلا أن يؤرخه .
اننا من دونها نفقد الحلقة الأهم في فهم الدوافع والاحساسات
وردود الفعل التي اختلجت بها نفوس القادة الذين كان بيدهم
زمام الموقف في الحرب ، وفي الاعداد لها ، وفي قبول شروط الصلح
أو رفضها . ان الحرب حتى عند أكثر الشعوب ديمقراطية تفرض
نوعا من تسليم الأمر الى قائد حكيم . ولولا خطب « بريكليس »
ما آمن الأثينيون بقوتهم وما اندفعوا ينتقمون من الاسبرطيين

بحماسة . ولقد نجحت هذه الطريقة الدرامية الحية التي اتبعها
ثوسيديدس في تاريخه الى حد أن قلده مؤرخون كثيرون من
بعده . بل الى حد جعل « ديموستينيس » خطيب أثينا الأشهر
ينسخ هذا الكتاب ثمانى مرات ويحفظ أجزاء كبيرة منه عن ظهر
قلب . ومع ذلك لم تسلم هذه الطريقة من نقد بعض النقاد وان
يكن نقدهم ضئيلا .

والكتاب ، بعد ، مختلف في تقسيمه ، فمنهم من يرى أن
المؤلف نفسه قسمه الى ثمانية أقسام . ومنهم من يرى أنه ثلاثة
عشر قسما . والقسم الأول منه مقدمة في أسباب الحرب ، وأما
الثانى والثالث والرابع فهى تقص قصة السنوات التسع الأولى
من الحرب ، وقد دامت كما نعرف سبعة وعشرين عاما . وفى
القسم الثانى نجد وصف الطاعون المشهور الذى أصاب أهل أثينا
وثوسيديدس من بينهم ، ولقد اهتم بوصف المحنة وبوصف
الأشكال الشاذة التى يتخذها سلوك الناس تحت ضغط مصيبة
الوباء . أما فى القسم الخامس فهو يصف السنة العاشرة للحرب
وما تلاها من سلم فى هدنة قلقة . وأما القسم السادس والسابع
والثامن فانه يقص فيها وقائع حملة صقلية حتى يصل الى الحرب
الايونية ثم يقف الكتاب فجأة سنة ٤١١ . ذلك أن المؤلف اغتيل
فيما يظهر فى احدى جولاته فى أثينا أو عند عودته الى ثراس فى
اثناء بحثه عن معلومات يضمها الى كتابه . وخليق بنا أن نذكر أنه
لا يذكر الأعوام وإنما تدلنا الأعياد والاحتفالات التى يصفها ،
كما أنه يقسم العام الى صيف تقع فيه الأحداث من مارس الى
آخر أكتوبر وشتاء تركد فيه الأحداث من نوفمبر الى آخر فبراير .

هذا هو تاريخ ثوسيديدس الذى خلده بعد أن رفض القدر أن
يخلده سياسيا أو قائدا حربيا . انه أول محاولة لفلسفة التاريخ
وتقنيته ليرسم به معالم المستقبل في الحرب والسلام أمام الانسانية،
وان اعترف صاحبه أن هناك شيئا لا يزال اسمه القدر يلعب دورا
تعجز سلامة القوانين وعمق الفلسفة عن أن تفسره .

سهر القلماوى

الحوار

موسيز هاداس (١) أندريه ميكالوبولوس (٢) لي مان ريزون

بريزون : اعتقد أن تاريخ ثوسيديدس لحرب البولوبونيز هو أقوى الكتب التاريخية (لا الروايات ولا الشعر) تصويرا لأساة هذه الحرب ، فهو يصور كيف أن هذه الحضارة العظيمة التي قد تكون أعظم الحضارات طرا قد حطمت نفسها بنفسها بسبب الحروب الأهلية .

ميكالوبولوس : حقا يا سيد بريسون . فهذا هو الواقع . انها قصة حرب البولوبونيز . وقد استمرت سبعة وعشرين عاما بين أثينا واسبرطة . وقد انتهت بسقوط أثينا سنة ٤٠٤ قبل الميلاد .

بريزون : كان يعنى هذا تدميرا لما نسميه نحن بالحضارة اليونانية العظيمة .

ميكالوبولوس : نعم . وبالطبع قد استعادت أثينا قوتها بعد ذلك ، واستمرت لوقت طويل وما زالت الى حد ما تلعب دورا حضاريا الى الآن .

بريزون : وبطريقة ما نجد أن معظم الأسماء التي لمعت في أثينا وهى فى أوج عظمتها الفكرية ، وأقصى ذلك الفلاسفة المؤلفين ، قد ظهوروا فى القرن الرابع بعد الميلاد . وأثينا التى كانت قاعدة لهذه القمة الفكرية هى أثينا فى زمن « بريكليس » أليس كذلك ؟

(١) Moses Hadas أستاذ اللغة اليونانية واللاتينية بجامعة كولومبيا .

(٢) Andre Michalopoulos تآقد ومحاضر .

هاداس : لا أشك في ذلك يا سيد بريزون ، ولكن اندحار الحضارة اليونانية - على حد قولك - وكما وصفها ثوسيديدس كان أمرا يمحزنا ، واني أعتقد أن ثوسيديدس كان يدرك ما فيه من مأساة ، كما أنه لا يمكن لأي يوناني ناضج أن ينظر الى مثل ذلك الوضع بغير النظرة الحزينة .

بريزون : بل إن ثوسيديدس نفسه كان جزءا من هذه المأساة، وان كان من الصعب أن تستنتج ذلك من الكتاب الا حينما يقول بالنص : « لقد كنت جزءا منه » . فلقد استبعد نفسه وذاته من هذا الكتاب أبعادا تاما .

هاداس : لقد استبعد الذاتية من هذا الكتاب ليحل محلها صورة العالم في العمل مرتديا ثياب الباحث البيضاء يتطلع الى الأثينيين مرة ، والى الاسبرطيين أخرى دون أن ينحاز لفريق دون آخر ، بل كان موضوعا يبحث عن الحقيقة وحدها ، وهذا من أجمل ما يوصف به هذا الكتاب .

بريزون : بالرغم من أن النزاع بين الأثينيين والاسبرطيين قد وصل في النهاية الى اراقة دماء كثيرة .

هاداس : نعم لقد أريق دماء كثيرة وثوسيديدس يعترف في الجزء الخامس من الكتاب أنه هو نفسه قد اشترك فعلا في هذه الحرب دون توفيق ، فقد قدر له أن ينسحب من ميدان القتال .

ميكالوبولوس : انه مؤرخ غير متحيز ، مؤرخ موضوعي جدا .

بريزون : هذا ما نسميه بالتاريخ العلمي .

ميكالوبولوس : نسلم بهذا ، فهو حقيقة يحاول جاهدا أن يكون

منصفا ، ولكنه أحيانا يتخلى عن حياده . ففي قضية « بريكليز » مثلا تجده يسبغ عليه الشرف الذى يستحقه فيقرر على لسانه حديثا رائعا ، ويقول لنا ثوسيديدس فى هذا الصدد أن طريقته فى هذه الأحاديث التى يزخر بها كتابه أن يعيد على أسماعنا ويصور لنا بقدر الامكان الكلمات التى قيلت فعلا ، هذا بالرغم من أنه لم يحضر معظم هذه الخطب ، وثوسيديدس نفسه لا يدعى نصها الحرفى ، ولكنه على أى حال يعطينا خلاصة هذه الخطب وروح معناها دون أى تشويش ، فلما عرض قضية « بريكليز » ، الذى كان فى وقت ما منافسا سياسيا له فى زعامة أثينا ، ثم انتخب « بريكليز » فعلا وسقط ثوسيديدس ، ولكننا نجده رغم ذلك منصفا له الى هذا الحد . وقائلا على لسانه كلمات عظيمة كهذه ، مما جعله جديرا بكل تقدير .

هاداس

: غير أنه توجد مواقف كثيرة تظهر فيها شخصيته ، وهذه المواقف تمتاز بالروعة . فهناك مثلا الموقف الذى يظهر فيه تحيزه القوى فى قضية « كليون » ، وذلك عندما ذهب « كليون » الى اسفاكتيريا بعد موت « بريكليز » . وكليون هذا كان يخلف « بريكليز » ، وثوسيديدس يمقت « كليون » ولا يحاول اطلاقا أن يخفى كراهيته له ، وهو فى هذا يقول : « ولو أن كليون استولى على جزيرة اسفاكتيريا فى ٢٠ يوما ، فان هذا يعد توفيقا كبيرا ولكن اذا قتل دون ذلك فان هذا هو التوفيق الأكبر » . وهذا ما كان يتوقعه معظم الناس . وقد

انتهج « كليون » سياسة « بريكليز » الى حد كبير ولم يكن يختلف عنه في شيء سوى أن « بريكليز » كان معتدلاً رحيمًا .

بريزون : لقد كان « كليون » أكثر عنفاً يا سيد هاداس . وفي نظر ثوسيديدس يمثل « كليون » نوعاً من العنف تتمثل فيه الروح اليونانية في أثينا ، واعتقد ثوسيديدس أن هذا العنف كان سيودي به .

هاداس : نعم . فقد كانت هذه هي الديمقراطية المتطرفة . ميكالوبولوس : لقد كان « كليون » مهيجاً للجماهير رغم أن السياسة التي انتهجها كانت استمراراً لسياسة « بريكليز » . وهي وإن كانت صحيحة غير أنها بلغت في عهد « كليون » حد التطرف لأن وسائله كانت مثيرة للجماهير الى أقصى حد .

بريزون : دعنا هنا نسترجع الحوادث للحظات . أثينا تخطو خطواتها الأولى كي تصبح دولة عظيمة ، ولكنها لم تطمئن الى قوتها بعد ، وهذه القوة قامت على تفوقها البحري .

هاداس : لا يمكننا أن نسلم بذلك ، فبعد الحرب الفارسية وخلال الأعوام الخمسين التي تلتها استطاعت أثينا أن تقيم امبراطوريتها بوسائل ملتوية ، فقد كانت تحمي جزر بحر أيجة من الخطر الفارسي، مقابل ما تدفعه لها . وهذه الجزر وجدت أنه من المستطاع دفع مبالغ معينة الى أثينا بدل الانفاق على بناء قوة بحرية لنفسها وصيانتها ، فأثينا كانت تملك وحدها القوة البحرية العظيمة الى جانب المال اللازم لصيانتها وتنميتها . وحينما رفعت هذه الجزر صوتها بالاحتجاج قائلة : « هل ندفع

لكم هذه المبالغ لتبنوا الاكروبولس ؟ » قال لهم
الاثينيون : « ماذا دهاكم ؟! ألسنا الذين نحميكم
مقابل ما تدفعون ؟! » ، وهكذا توسعت قوة أثينا
حتى ان الشعوب الاخرى ، وخاصة الاسبرطيين ،
كانوا يرجفون منها خوفا ، كما يقول ثوسيديدس .
: هذا طبعاً لأن قوة الاسبرطيين كانت قوة برية .
وهذا نزاع تقليدى بين القوى البحرية التجارية
الديمقراطية من جهة ، والقوى البرية الزراعية
الاقطاعية من جهة اخرى . والذي أعنيه ياسيد
هاداس ، ان ثوسيديدس ، كما اعتقد ، يوضح لنا
كل الوضوح كيف أن الاثينيين لم يتحققوا من كفاية
قوتهم لمواجهة اسبرطة الى أن أظهر لهم « بريكلز »
انهم اقوياء فعلاً .

بريزون

: لقد أشاد بما يملكون من قوة ومال وبحرية ،
هاداس .
معرفاً ايها ان ليس المهم التنكيل بأتيكا ، انما
المهم هو الانتصار . والانتصار يصبح مؤكداً بعملية
حسابية بسيطة ، اللهم إلا اذا ارتكبوا حماقات
مزرية .

: اذن فأمامنا حدث طالما تكرر في التاريخ ، هذا
الحدث هو الصراع المستميت بين القوى التى تعتمد
على الزراعة والقوى التى تعتمد على السفن الحربية
البحرية ، وفى هذه الحرب بالذات نجد أن الفريقين
المتحاربين قد انحصرا فى شبه جزيرة صغيرة ،
وكلاهما من اليونانيين ولا يهدد الفريقين عدو
خارجي .

بريزون

: هذا حقاً مما يجعل كتاب ثوسيديدس ذا فائدة
هاداس .

عظيمة ، فعدد من يتحدث عنهم قليل ، كما أن مسرح الأحداث صغير محدود . اذن فلدينا نموذج لعمل صغير ، يستطيع كل منا أن يرى فيه كل شيء داخل أنابيب الاختبار (اذا صح التعبير) ، وثوسيديدس كان فعلا يسير على هذا النهج ، وهذا مما يزيد في فائدة ما يكتبه ، فالأحداث والأشخاص التي يتناولها يمكن لنا أن نراها بمجرد القاء نظرة على أنابيب الاختبار .

ميكالويولوس: وبعبارة أخرى . فانك تحصل على نموذج مصغر لنماذج أكبر لا تنقطع عن تكرار نفسها ، وهي لا تكرر نفسها كلية بالطبع ، فانها لا تستطيع ان تكرر نفسها تكرارا كاملا ، لأن الظروف لا تكون واحدة تماما في كل مرة . ولكن ثوسيديدس يامسّر هاداس كان يأمل ان يكون كتابه ذا فائدة باعتباره نموذجا خالدا للمستقبل .

بريزون : ولكن من المعروف عن ثوسيديدس أنه أعجب بهيرودوت ، ولكن حينما بدأ يؤرخ نهج طريقة تختلف تماما عن طريقة هيرودوت .

هاداس : أنا لست متأكدا هل ثوسيديدس أعجب حقا بهيرودوت أم لا ؟ انما المحتمل جدا هو أن ثوسيديدس تعلم حرفته كمؤلف على يد الأطباء من المدرسة البقرائية ، والدليل واضح على ذلك ، أنه عندما يصف أحداث الطاعون كان يعطينا أعماق وأوضح التفاصيل التي يمكن للطاعون أن ينمو فيها ، بالإضافة التي تشخيصه لهذا المرض وتعريفه

له . والأهم من كل هذا وصفه للناس تحت وطأة الطاعون ، وهم يمارسون أعمالاً لا يمكن لهم القيام بها في أى وقت آخر . فلو أخذنا قصة الطاعون في الكتاب الثانى ثم تدرجنا الى قصة الثورة والنزاع الطبقي في الكتاب الثالث ، لوضح لنا للمرة الثانية كيف تقوم قوانين السلوك الانسانى في ظروف معينة . فهذه الأحداث تتكرر دائماً : الأغنياء يحاربون الفقراء ، فضلاً عن أن بعض الكلمات تفقد معانيها الأصلية . فالعدالة والبسالة والديمقراطية كل هذه تعنى أشياء أخرى ، وهذه هى الطريقة التى يعالج بها ثوسيديدس ما يتناوله من موضوعات . ان طريقته هى الطريقة العلمية التى تزودك بنماذج حية من سلوك الانسان نفسه ، سلوكه كحيوان سياسى .

ميكالوبولوس: معنى هذا أن تاريخ ثوسيديدس فلسفة للتاريخ أكثر منه تاريخ يحكى القصص المسلية كما هى الحال في تاريخ هيرودوت . أقصد أن الانسان يجد متعة كبيرة وهو يقرأ التفاصيل التاريخية التى يقصها علينا هيرودوت . انها قصص ممتعة ومشرقة لا تخلو من الواقعية . هذه القصص تظهر لنا قدرة هيرودوت الكبيرة على الملاحظة ، ولكننا حينما نقرأ لثوسيديدس نجد أننا أمام مؤلف علمى يتنبأ بأحداث المستقبل على ضوء الأحداث الماضية .

: ولكن ثوسيديدس لم يقصد أن يجعل كتابه سهلاً ، فبينما يجد من يقرأ لهيرودوت متعة وسهولة في القراءة ، فان نفس القارئ يتراجع بسرعة حينما يحاول قراءة ثوسيديدس ؛ وذلك لأن ثوسيديدس

هاداس

كتب بأسلوب يوناني صعب ، لأنه كان لا يكتب إلا لمن
يتجمن في القراءة .

بريزون

: أنه يعتمد الى المبالغة في الإيجاز والتعقيد .

هاداس

: أن ثوسيديدس نفسه قد قال في هذا الصدد : « فانك
قد تقرأ الجملة مرة ، ومرة ، ومرة أخرى ،
ولا تستطيع أن تصل الى دلالتها الا بعد جهد
عنيف » .

ميكالويولوس: ولقد كان هذا جزءاً من طريقته . الا تظن أن
ثوسيديدس كانت له المقدرة النادرة في الكتابة المركزة
حتى أن جملة واحدة مما يكتبه كانت تحتوى على
الكثير والكثير من المعانى . نعود الى موضوعنا
السابق . هل تعتقد أن ثوسيديدس كان سيء
النية في حديثه عن هيرودوت ؟

هاداس

: من المؤكد أن ثوسيديدس تحقق من عظمة العمل الذى
كان يحاول أن يقوم به ، وهو في هذا يكتب هذه
الملاحظة التهامية معرضاً بهيرودوت عندما يقول :
« اننى لا اكتب موضوعاً ايشائياً ليتسلى به عدد كبير
من الناس ، ولكنى اكتب مادة تحتاج الى دراسة
شاقة لمن يحاول أن يتفهمها ، فانك اذا فهمتها فلن
تكون في ظلام كما هي الحال في الطب . فاذا أصابك
المرض مرة فانك في المرة الثانية تعرف الطريقة التى
هاجمك بها هذا المرض فتكون أكثر صموداً في
مواجهته ، حتى وان أصبح من العسير عليك مفاداته،
ولكنك لا تكون في الظلام » . ومع ذلك فقد تصاب
بكارثة . وفي ظنى أن الطبيعة البشرية في ناحيتها
الأخلاقية ثابتة ثبوتها في الناحية الفسيولوجية .

بريزون

: والآن يخيل الى ياسيد هاداس أنه لابد لأحدنا من أن

يضع اصبعه على الجرح ، فما الذى قاله ثوسيديدس
عن أسباب انهيار أثينا ، ان أثينا هى التى كان يهتم
بأمرها ، اليس كذلك ؟ فهو نفسه كان أثينا - هل
كان الطاعون هو السبب ؛ ذلك الطاعون الذى كان
تكبة طبيعية لم يكن يتوقعها أحد ؟ أم كان السبب
تضاعف طموحها أو ربما كان استبدادها فى
مستعمراتها ، أم انه كان مجرد سوء الحظ كالذى
يصيب الانسان أحيانا ؟ هل كان السبب هو
الوحشية ؟ لماذا يقول ثوسيديدس ان أثينا قد
تحطمت ؟

هاداس : انه يشير أولا الى أن الأمور ربما كانت تأخذ شكلا
مختلفا لو أن « بريكلز » لم يمت .

بريزون : اذن كانت الغلظة فى السياسة ؟
هاداس : يقول ان أثينا قد حطمت نفسها بنفسها ، ولم
يحطمها العدو . أو بمعنى آخر أنها تحطمت بسبب
الفساد والطمع الذى عم البلاد ، كما أن استمرار
الحرب نفسه قد استنفد أثينا ، واستنفد خيراتها ،
وليس هناك سبب حقيقى لاستمرار تلك الحرب
طيلة هذه السنين .

بريزون : ان الاسبرطيين كانوا فى وقت ما على استعداد
للانسحاب من المعركة .

ميكالوبولوس : اظن أنهم عقدوا معاهدة لوقف الحرب سنة ٤٢١
قبل الميلاد ، على أن يدوم السلام بينهما مدة خمسين
عاما ، غير أن الاسبرطيين انتهكوا كل هذه المعاهدة
فنيا مما أغضب الإثينيين ، ومما دعا الى استئناف
الحرب ، ويظهر أن ثوسيديدس كان يلمح الى أن

هناك دورة طمع في السياسة لعلها خالدة : تنتقل الدولة فيها من مرحلة الاستبداد فيزداد المستبد في استبداده مما يدعو الناس الى الثورة في وجهه ، ثم بعد هذا تتعرض الدولة للحكم الأوليجاركى ، اى حكم الأقلية ، ثم تطفى الاوليجاركية ، فيستبدل بها حكم الرجل العادى ، الحكم الديمقراطى ، ثم تجمع الديمقراطية وتجري على رسلها بعد استيلائها على الحكم بوقت طويل فتتم حلقات الدائرة الوبيلة ويتهيا الجو لاستبداد جديد . وقد وصل بوليبيوس الذى ألف كتابه بعد ثوسيديدس بمائتى عام الى نفس النتيجة . وبوليبيوس يشير الى ثوسيديدس وينقل عنه تلك النظرية ليردها الى ثوسيديدس ، وهذه هى الطريقة التى يحاول بها بوليبيوس تفسير تاريخ ثوسيديدس ، واعتقد أنه على صواب .

بريزون : الناس جشعون ، وتتخذ مطامعهم شكل حلقات من الأنظمة حتى تقع المأساة التى لا مفر منها .

هاداس : اننى اكرر أن ثوسيديدس كان ينظر الى التاريخ كما ينظر العالم أو الطبيب الى المريض ، ففي الأحداث التاريخية هوة سحيقة جدا لا نعلم عنها شيئا ، وكل ما نستطيع عمله هو أن نتنبأ ببعضها ، ولكن لا تزال هناك منطقة كبيرة غير معلومة لدينا . وثوسيديدس فى هذه الحالة يقلل من المنطقة المجهولة بقدر الامكان ، وبعد أن ينقصها وبعد أن يتحدث عن سلوك الناس وهم جشعون أو حينما يدب الضعف فيهم ستبقى لدينا منطقة مجهولة ، وهذا هو لب المأساة اليونانية ، فمهما نحاول استقصاء المعلومات عن أى موقعة حربية سيظل لدينا جانب

منها مجهول - وكل ما يمكن أن نفعله هو الحدس
كما هي الحال في شخصية أوديب الملك ، فان
الأحداث هي التي كانت السبب في نهايته المحتومة ،
وكذلك الحال هنا ، اللهم الا اذا استطعنا تغيير
الحيوان نفسه ، فالإنسان حيوان قابل للتحسن ،
ولكن لا يمكن أن نجرده كل التجريد من إنسانيته
أو نحوله الى ملاك من الملائكة .

ميكالوبولوس : لقد أشرت الى تمثيلية الملك أوديب ياسيد هاداس ،
وانى أوافقك كل الموافقة فيما قلت .

بريزون : هذه التمثيلية تمثل اليوم تمثيلا رائعا في نيويورك .
ميكالوبولوس : نعم انه تمثيل رائع ، ففي قضية الملك أوديب وفي
قضية ثوسيديدس تتدخل أحداث لم يكن يستطيع
التكهن بها . أما كتاب التراجيذيا فنراهم ينسبون
التدخل الى قوى خارقة ليعمقوا اثر المأساة .
أما المؤرخون فينسبون التدخل الى أحداث غير
متوقعة ، كالطاعون وما اليه من الأمور التي لم
يكن يستطيع التنبؤ بها .

بريزون : انما هو الحظ العائر .
ميكالوبولوس : في حياة الأمم وفي حياة الأفراد يوجد الحظ السيء .
في نفس الوقت نجد سوء الحظ هذا في مسرحية
أوديب الملك وفي ثوسيديدس يتمثل أعنف ما يتمثل
في نقطة ضعف العامل الإنساني ، وفي الإنسان نفسه .
في حالة أوديب نجد أن ضعفه يتمثل في شدة
أصراره وصرامته ، وفي حالة لاوثن وجوكاستا نجد
أنهما اقترفا جريمة قتل غير مباشر ليفرا من
اللعنة .

هاداس : لا يمكن أن نأمل في استئصال تلك الأخطاء . وقد يكون من الممكن تخفيفها ، ولكن من الصعب القضاء عليها نهائيا .

ميكالوبولوس : أنت على حق . فثوسيديدس يبدى ملاحظة تتفق مع ما تقول ياسيد هاداس . فهو يقول انه في وقت السلام والرخاء تسيطر على الدول والأفراد دوافع نبيلة عالية ، وذلك لأنهم لا يخضعون لوطأة الحاجات الضرورية ، ولكن الحرب هي التي تحرمهم من الراحة والرفاهية التي هم في حاجة اليها . فالحرب سيد ضاغط عنيف يميل الى دفع الأفراد الى اشباع نزواتهم الشخصية .

بريزون : يقول ثوسيديدس في مكان آخر ان الأفراد حينما يكونون في رغد من العيش فانهم يزدادون في طلباتهم الملحة ، وحينما يكونون في فقر فانهم يقنعون بالقليل ، وفي كلتا الحالتين ترى نفوسهم تصبو الى الطمع وتنحل أخلاقهم ، وبالتالي يقعون في الشر .

هاداس : اعتقد أن أهم شيء في موضوع المأساة هو أن كلا من الشعراء الذين برعوا في كتابة التراجيديات وثوسيديدس ، وربما كتاب القصة الجادين أيضا هؤلاء جميعا يحاولون أن يروا الحياة كنموذج للعلاقات الانسانية ، علاقاتهم بعضهم البعض ، وعلاقاتهم بالقدر . والمهم هنا هو النموذج ؛ أعني ايجاد روابط سببية بين حادث وآخر ، وبين حادث وشخصية من الشخصيات ، لا عرض الشيء باعتباره مجرد مصادفة من المصادفات أو نزوة من النزوات . فهناك قدر معين من المصادفة لكن يجب ألا يبقى

منها الا اقل القليل . وأما الكثرة الغالبة ، وهى الجزء الأكبر ، فمن الممكن استبعاده ، وبذا قد يمكن منع قيام الحرب أو على الأقل منع مضاعفاتها الرهيبة كما حدث فى الحرب البولوبونية .

ميكالوبولوس : أعتقد أنه كان من الممكن منعها كل المنع ، وكان هذا رأى أرسطوفانيس ، فهو يقول ان الحرب كلها بدأت بسبب ثلاث نساء غيبات ، وبالطبع أرسطوفانيس ، لكونه كوميديا أو كاتباً للكوميديا ، فقد قال ذلك البعض .

هاداس : على أية حال انه يقلد هيرودوت تقليدا هزليا حين يقول الحروب تبدأ لأن الناس يخطفون بعضهم بعضا .

ميكالوبولوس : نعم لأن بعض الشبان الأثينيين السكارى سرقوا فتاة من ميجلرا .

هاداس : ولكن الشبان سيختطفون دائما الفتيات ، وهذا هو بيت القصيد ، فكيف يمكن لك أن تمنع الفتيان السكارى من سرقة الفتيات الجميلات .

ميكالوبولوس : على أى حال أرسطوفانيس كان يعنى ما يقول ، وهو أن الفتيات الجميلات قد اختطفهن الشبان السكارى ، فليس معنى هذا الاختطاف هو أن يقوم شبان الفريق الآخر ويخطفون فتيات العدو حتى يكمل التعادل . ولكن هل معنى هذا أن عدد شباب أثينا كان كبيراً حقاً ؟ ان الحرب مع أسبرطة لم يكن لها مستنوع إطلاقاً ، وان ثوسيديدس كان يدرك مقدار المأساة فى هذه الحال .

بريزون : غير انه يظهر لى انه يمكن أن نفسرها بطريقتين ؛
فهناك فى كتاب ثوسيديدس نقطتان هامتان جدا :
حملة صقلية حيث نرى وصفا مروعا للمأساة التى
حدثت حينما ذهب اثينا بمجرد أطماعها ونواياها
التعسفية وهزمت شر هزيمة ، كانت هذه الحملة
غير عملية اطلاقا ، وكان ذلك طموحا يدل على الغباء،
هذا ما يظهره لنا ثوسيديدس على الأقل ، فقد كان
طموح اثينا طموحا امبرياليا استعماريا ، ورغم ذلك
فهذه الحملة قد فكر فيها وأعدت بطريقة بارعة كما
وافق عليها الشعب الاثينى بأكمله واندفع اليها
بتحمس كبير .

هاداس : ان الكابيداس يضع لنا قاعدة لهذه الحملة . يقول
ان ثمة مبدأ يصعب الخروج عليه . انه متى نظمت
دولتك على الأساس الامبريالى فعليك أن تستمر فى
هذا الطريق وذلك ببساطة لعجزك عن التوقف .
بريزون : وهذا الاستمرار يجعل الانسان يسير حتى توقفه
العوامل الخارجية .

هاداس : انه يسير حتى يستولى على ايطاليا ثم يستولى على
قرطاجة ثم يستولى على أسبرطة ثم فارس ثم يدين
له كل العالم ويصبح حاكما فردا له كله .

بريزون : لقد حاولت روما فعل ذلك .
هاداس : وكان الاسكندر هو أول من حاول ذلك .
بريزون : ولكن هذه الحملات جميعها انتهت الى القدر المحتوم،
فهناك نقطة بعينها لا تستطيع تخطيها .
هاداس : تكون الدائرة قد دارت عليك لتبدأ دورتها فى طريق
الأخوة العالمية .

بريزون : هذا يأتى فيما بعد : ولكن ثوسيديدس لم يذكر ذلك . والآن أيها السادة هناك النقطة الأخرى الرفيعة التى تجدونها فى الحوار الذى يقول فيه أن الاخفاق فى النهاية لا يعود لسوء التخطيط أو الى الأخطاء أو الى الخرافة وهكذا ، بل انه يفترض أن الاخفاق يرجع الى تحدى الآلهة .

هاداس : لا أعتقد أن السبب هو تحدى الآلهة ، ولكنى أظن أن صلب الموضوع أن الطبيعة البشرية بها ضعف . ونحن نعرف عن بنى الإنسان ، ولعل هذا يصدق على الآلهة ، أنهم بحكم قوانين طبيعتهم يسيطرون حيث يستطيعون ويستسلمون حيث يجبرون . فإذا أستطاع انسان أن يسيطر فلن يستطيع شيء أن يحول بينه وبين ذلك .

بريزون : ولكن الأثينيين حينما تركوا « ملوس » بعد أن حطموها

هاداس : لقد استنكر ذلك كل ذوى الطبائع الرقيقة . ميكالوبولوس : نعم . وقد غضب يوربيدس نفسه ومن أجل هذا كتب تمثيلية « نساء طروادة » التى أعرب فيها عن أساه لهذا الحادث فى شعر بلغ منتهى القوة .

بريزون : أظن أنه لا بد لنا أن نعتبر أن ثوسيديدس قد تحدث عن أشياء كثيرة دون شك . ان كتابه هو النوع القديم من الكتب وليس لدينا منه إلا القليل أمثال مكيافيلى ودانتى — انه كتاب السياسى المبعد الذى يكتب كتابة عميقة الدلالة عن الأحداث السياسية على حقيقتها ويكشف لنا عما يعتقده فى هذا الموضوع ، وعما كان خليقا أن يحدث لو فرض أن القوم (نساء ورجالا) كانوا أحسن مما هم عليه .

دوت کیخوته

Don Quixote

لسر قنٹیسے

Cervantes

سرقنتيس

ميغيل سرقنتيس سافدرا : (١٥٤٧ م - ١٦١٦ م)

روائي اسباني يعد أكبر الروائيين الاسبان واشهرهم دوليا . اوصلته الى هذه المكانة روايته المعروفة « دون كيخوته دو لامنشا » . ولد في « كالادوهينارس » في اسبانيا من اب طبيب فقير كان يتجول لكسب عيشه . ثم عمل لأمير ايطالي ورحل معه الى ايطاليا . خاض حرب « ليبانتو » سنة ١٥٧١ وفقد فيها ذراعه اليسرى . خطف في عملية قرصنة واخذ اسيرا في الجزائر خمس سنوات ، عاد بعدها فقيرا الى اسبانيا .

وفي نحو الستين من عمره أصدر الجزء الاول من روايته « دون كيخوته دولامنشا » سنة ١٦٠٦ ، ولم تكن له أية شهرة أو مكانة في الأدب قبل ذلك . غره نجاح الجزء الاول فنشر رواية « نوفاليس » سنة ١٦١٢ فلم تلق أي رواج . وبعد تسع سنوات من صدور الجزء الاول نشر الجزء الثاني من « دون كيخوته دولامنشا » الذي يعد عند كثيرين أفضل من الجزء الأول . وبعد عام مات ودفن في مدريد .

له الى جانب ذلك رواية ريفيسه « جالاتيا » سنة ١٥٨٥ لاقت بعض النجاح ، وعشرون مسرحية

فاشلة لم يصلنا منها الا مسرحيتان : « الحياة
في الجزائر » ، و « من ذكريات أسرة » .

اول ما نشر مجموعة قصائد في مدريد سنة
١٥٦٩ لم تلق أى رواج . نشروا له بعد وفاته
رواية « برزيل سيجسموندا » وهى مملوءة بالمفارقات
والمبالغات . كما نشرت له مجموعة قصص بعنوان
« قصص مثالية » تمتاز بقوة الملاحظة وخفة الروح .

تعريف بالكتاب والمؤلف

قلما يلقى كتاب من الرواج مثلما لاقى كتاب « السيد العبقري دون كيخوته دو لامنشا » ؛ فلقد طبع خمس مرات في السنة التي ظهر فيها في اسبانيا سنة ١٦٠٦ أيام كانت اعادة طبع كتاب تعد حدثا هاما . وحتى سنة ١٩١٤ كان قد طبع خمسمائة مرة في اسبانيا ، ومائتى مرة في انجلترا ، ومثلها في فرنسا ، وهكذا . ولقد ترجم الى لغات كثيرة ، وأصبح العالم كله ، كما يقول بعضهم ، يضحك معا حول « دون كيخوته » . واستلهم الرسامون الرواية مرارا وتكرارا ، والفت حولها روايات وأوبرات واستوحاها الموسيقيون وعلى رأسهم يوهان شتراوس وملئت بها كتب الأطفال وصورت لعبهم البطل وتابعه في مواقف شتى . ونقف لنسأل أنفسنا ما الذى جعل هذه الرواية تنتشر كل هذا الانتشار وتؤثر كل هذا التأثير . وقبل أن نرد على هذا السؤال لا بد من أن نذكر القصة في خطوطها العريضة .

السيد العبقري دون كيخوته رجل تعدى الخمسين من عمره ، فقير غير متعلم ، ولكنه قرأ كتب الفروسية وفتنته سيرة الفرسان . وذات يوم يقرر أن يخرج الى العالم ليؤدى رسالة الفروسية ليرج الدنيا بأخبار انتصاراته وبسالته وليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت جورا : ليحمى الضعيف من القوى وينقذ الأميرات الجميلات الفاتنات من العذاب ، وليضرب على أيدي المستغلين ، والمنافقين والسحرة ، والمشعوذين .

ولابد للفارس من عدة القتال ؛ فهو يخرج من مخزنه خوذة

مخرومة ، ودرعا مكسورة ، وسيفا صدثا مثلوما . ولابد للفارس من جواد جميل وهذا حصانه المريض الهزيل المملوء بثورا يمكن أن يؤدي الدور . ولابد له أيضا ممن ينصبه فارسا ، وصاحب ألحان يقوم في حانه المتواضع بهذا الدور تحت ضغط الظروف وهو مشدوه حائر مرتبك . والأهم من كل هذا أنه لا بد للفارس من حبيبة يستلهم جمالها الباهر الشجاعة في حروبه والصبر على ضربات القدر حتى ينتصر فيعود اليها كما يعود الفارس في قصص الفرسان الى سيدته . ومن تكون يا ترى ؟ انها ريفية قبيحة فقيرة بائسة في القرية المجاورة ، قرية يرتفع اسمها الى أن يكون « التوبوسو » ، ويخلع الفارس على فتاة أحلامه الاسم الشعري : دولثينا « دولثينا دالتوبوسو » .

وهكذا يخرج الفارس الى مغامراته . ويعيده القس والحلاق الى بيته ليحرقا كتب الفروسية لعله يشفى من لوثته ، ولكنه يعود مرة أخرى الى مغامراته ، وهذه المرة يعود ومعه تابعه الوفي الأمين سانشوبانثا ، فقد نسي في المرة السابقة أن يصطحب تابعا . وسانشو فلاح واقعي عملي بسيط التفكير ، وحماره الذي يركبه بأثس هزيل . ويسير الفارس على جواده والتابع على حماره يمثلان الخيال الجامح معكوسا على الواقع العاري أمام كل موقف من المواقف التي يتعرض لها الفارس . ومما يجعل الأمور تتعقد أكثر فأكثر أن دون كيخوته يعتقد أنه محسود ، وأن قوى الشر تتربص به دائما لأن القدر يحاربه . وعلى ذلك فهو على حذر وهذه طواحين الهواء قد أحالتها قوى الشر فهي عمالقة من الأعداء لحربه ؛ وهذه قطعان الأغنام يحولها السحر الى كتائب من الجند تعترض طريقه وتشهر السلاح في وجهه . وهكذا يدخل المسكين في مأزق يسلمه الى آخر ، ويفلغه شر ليكثفه عليه آخر ، ولكنسه لا يفقد إيمانه ، ويقوم بالخير المصفي دائما وسط كل هذه الشرور

بل رغما عنها . وفى كل مرة يرده تابعه الى صوابه فيأبى فيستسلم
التابع لعل خيرا يناله آخر الأمر كما يقول .

الام ترمز هذه الرواية ؟ وهل هى حقا رامزة ؟ ان عبقريتها فى
ان البعض يراها قصة ممتعة ساذجة فيجد فيها المتعة التى يريد؛
والبعض الآخر يراها رامزة أو هى لغز ينطوى على أسرار ، ثم
ينطلق ليكتشف سرها سرا تلو آخر فيجد متعته فى ذلك .
ولبعض الثالث يراها كالقصص الدينية لها ظاهر وباطن فيحاول
تحديد هذا الباطن فيدخل فى تأويلات لا حصر لها ولا أول لها
ولا آخر ، وفى هذه العملية كلها يجد هو أيضا متعته .

وسواء أكانت الرواية قصة ساذجة ، أم معقدة ، أم باطنية ،
فانها ولا شك الى جانب ما قيل انها ألقت من أجله - تحمل
أكثر من غرض . قيل ان مؤلفها أراد أن يحارب بدعة التعلق
بقصص الفرسان التى فتن بها أهل اسبانيا وسيطرت على عقولهم
فأفقدتهم الاحساس بالواقع . وكان واقع اسبانيا مؤسيا آخر
القرن السادس عشر ، ولكن القصة تأبى أن يكون أمرها كذلك .
لقد كانت دولة القصص الفارس قد أخذت تدول من نفسها ،
وان زعم بعضهم أن رواية دون كيخوته هى التى قضت نهائيا
على هذا التيار . والمهم أن التيار لم ينته نهائيا كما يزعمون .
ولعل « دون كيخوته » أحيته ، فهى نفسها وان سخرت من
الفروسية تمجدها وتجعل القراء يعطفون على الفارس الخائب
ويتجاوبون مع آماله ويرون ما يراه فى الأهداف والغايات التى
يريد أن يحققها .

ثم قيل ان سرفنتيس أراد أن يصور اسبانيا كما هى . لقد
عاصر شكسبير ، وكما استطاع شكسبير أن يشفر الانجليز
بانجليزيتهم من خلال تاريخهم فألف رتشاردات وهنريات الخ . .

فكذلك استطاع سرفنتيس أن يشعر الاسبان باسبانيته عن طريق « دون كيخوته » .

وحياة المؤلف كحياة أمته اذ ذاك ، صورة من الصعود المثالي الخاطف والهبوط الواقعي السريع . ففي القرن السادس عشر وحده استطاعت اسبانيا — بعد أن توحدت قوتها الحربية وسلطانها منذ زواج فرديناند وايزابلا آخر القرن الخامس عشر — أن تخوض حروبا توسعية خارج حدودها . وكانت حرب « ليبانتو » التي فقد فيها سرفنتيس ذراعه ، هامة جدا لأنها فتحت أعين الاسبان على حقيقة جديدة هي أنهم يمكن أن يهزموا الترك ويأخذوا أطرافا من امبراطوريتهم . وتخلص الاسبان من اليهود . واكتشف كولومبس امريكا ، ورفع العلم الاسباني عليها ، وكان كل شيء يبشر بعصر امبراطوري مجيد . ولكن فجأة يدمر الانجليز أسطول الاسبان « الأرمادا » سنة ١٥٨٨ ، وتسود الفوضى داخل البلاد ، ويضعف النفوذ الخارجي ، وتسترد المستعمرات استقلالها .

وهكذا كانت حياة سرفنتيس نفسه ، بدأ فقيرا ولكنه يتنسم نسيم الحرية واطمئنان العيش في ايطاليا ، فيدخل الجندية ، ويفقد ذراعه اليسرى « ليزداد مجد ذراعي اليمنى » — كما كان يقول . ويخوض بذراع واحدة معركة « نفارين » في شمال أفريقيا وبعد العدة للعودة الى وطنه ليلقى جزاءه الحق ومجده المنتظر . يعود ومعه خطابات توصية ترشحه لتولى أعمال هامة . وفجأة ينقض القراصنة على سفينته العائدة ، وتكون خطابات التوصية نكبة عليه ، اذ يظن بسببها أنه شخصية هامة فيتغالي غرب شمال افريقيا في قديته ، فيظل لذلك خمس سنوات أسيرا ، أسيرا شهما يحاول الفرار مرارا ويفشل ولكنه لا يكذب ولا يوقع بالغير . وأخيرا يعود الى أرض الوطن فقيرا معدما مدينا يعمل في جمع القمح للجيش أو للحكومة في الجنوب ويهمل في

حساباته فيسجن مرتين ، ويقتل رجل أمام بيته فيتهم بقتله
فيسجن مرة ثالثة ثم يبرأ من كل هذا . ويكتب فلا يصادف
نجاحا ويعيش تعسا منبوذا وهو الذى فقد فى سبيل أمته ذراعا
وخاض حروبا أخرى بذراع واحدة وعانى الأسر فى الغربية
خمس أعوام .

وأخيرا لماذا لا يصور اسبانيا ونفسه والدنيا كلها من حوله
فى هذا الفارس السيد العبرى « دون كيخوته » . انه فارس
انفصل عن الواقع بخياله . والواقع ، فى شكل سانشو ، يرطمه
بالأرض فيعلو كالكرة كلما ارتطمت بالأرض قفزت الى أعلى
لتعود فترطم من جديد فى عنف أكيد . ويدور الحوار الحى
الليد بين الواقع والخيال . اليس كل ما حوله مفارقات ساخرة ؟
فلماذا لا يسخر ؟! هؤلاء جهلة يتعاملون وينشرون فى كتبهم
كلما جافا يسمونه علما كله ادعاء وغباء . صحيح انه هو نفسه
لم يكمل دراسته . ولكن يا للجهل والغفلة ؟ هل الثقافة شهادت ؟
ويبدأ رويته معتذرا فى تهكم انه لا يستطيع أن يحليها بالهوامش
العلمية والاستطرادات البارة كما يفعل متحذلقو العلم . ويظهر
فى المقدمة صديقه يهون عليه الأمر ويدله - فى أسلوب ساخر من
الناس لاذع - كيف يتعالم هو الآخر وكيف يحشو كتابه او مقدمته
على الأقل بهراء مصفى يدعى انه علم . والادعاء يتخم الحياة من
حوله حتى ان « دون كيخوته » الرواية لا تسلم هى الأخرى من شر
الادعاء والمدعين ، فهذا منافس مدع اسمه القس آلياجا Aliaga
يكمل القصة برواية اسمها « آليقانيدا » زاعما أنها الجزء الثانى
الذى وعد به سرفنتيس قراءه فى الجزء الأول من الرواية .
ويثور سرفنتيس وفى ثورته يكتب الجزء الثانى أخيرا بعد تسع
سنوات ومن يدرى فربما أنه لولا ذلك ما اكمل للقراء ما وعدهم به .
وفى الجزء الثانى يعنى باسبانيا المعاصرة ومتناقضات حياتها أكثر

مما يعنى بحياة الفروسية والفرسان . ولكنه رغم كل هذا لا ينال شهرة ولا يفيد مالا ، ويموت بعد عام واحد من انتهاء روايته وكأنما هو على موعد مع الموت بعد أن يتم عمله مباشرة .

والرجل الأسباني بطبعه مزيج من الخفة والعقل يختلط الواقع بالخيال في حياته اليومية اختلاطا عجيبا . لقد عاش العرب ثمانية قرون وتعلم منهم كيف يحلق فوق الواقع فيسعدده هذا التحليق ، وكيف يسخر من الآلام والمصائب ليعود بعد ذلك الى المقاومة من جديد . وروايته تعكس هذا المزاج بكل خصائصه الأسبانية - العربية : مزاج يجمع بين حلم الماضي الجميل وتطلعات المستقبل الباهر المرجو ، الى الحد الذى يطمس رؤيتنا لحدود الواقع وطاقاته ، وبين الإدراك الفعلى للواقع المشبع بإيمان عميق بدور الحظ والقدر في حياتنا اليومية . ومن هذه القدرة على الجمع بين الأمرين يكسب قابلية الاندفاع نحو العمل فى سبيل تحقيق الآمال والأحلام .

وهكذا عكست الرواية عقل الفلاح الساذج بكل واقعيته وحكمه العميقة المستقاة من تجارب السنين كما عكست تهويمات الفارس المغامر بكل خياله وغفلته المضحكة الرائقة ، ذلك أنه فى سذاجة سانشو ذكاء أكبر مما ألفنا أن نسميه عادة بالذكاء ، وفى غفلة « دون كيخوته » ذكاء وخيال أروع مما ألفنا أن نجد عند المغفلين . لقد تحولت مأساة أسبانيا فى القرن السادس عشر الى « أوديسا » خالدة كما تحولت مأساة حياة سرفنتيس الى رواية رائعة ؛ رواية يجدها الباحثون عن التأويلات تأويلات ، والمولعون بالألفاظ والرموز الغازا ورموزا ، كما يجد البعيدون عن كل هذا وذاك متعة صافية وسخرية لأذعة بارعة .

وأخيرا ما الذى يدرج هذه الرواية تحت موضوع الصراع ؟ يقول الحوار أنها حرب سنها السيد العبقري « دون كيخوته

دولامنشا « على قيم قديمة ليبشر بقيم جديدة ؛ لقد كان محبا للخير محبا للانسانية مؤمنا بالعدل مؤمنا بالانسان فأزاد أن يخوض الحرب في سبيل أعلاء شأن هذه المبادئ التي بها آمن . ونقول نحن أليست كل حرب تدعى أنها تريد أن تحقق الحق وتبطل الباطل ؛ وأن تمنع الظلم وتقيم العدل . فلماذا لا يدخل هذا الصراع الباهر الوقائع البديع الخيال ضمن حروب التاريخ التي صورها المؤرخون والروائيون أحيانا على أنها باهرة الوقائع بديعة الخيال . والله يعلم أنها ماكانت كذلك وما كان يمكن لها أن تكون . أليست حرب « دون كيخوته » - وهو السيد العبقري كما أسماه سرفنتيس - أكثر إثارة وأزخر متعة ؟ ومن يدري فلعلها تكون أعم فائدة ؟ ولم لا ؟ أليست تصلح من النفوس ما لا تصلحه منها الحروب . انها على كل حال بريئة من دم قتلى وآلام جرحى .

سهر القلماوى

الحوار

هاملتون باسو (١) جان سترثر (٢) ليمان بريزون

بريزون : يمكننا أن نعتبر دون كيخوته من الكتب التي عالجت موضوع الحرب والسلام ؛ لأنه في حقيقته دراسة تفصيلية لما قد يواجهه الانسان من توفيق أو اخفاق حينما يوطد العزم على تصحيح ما في العالم من أخطاء عن طريق استخدام القوة . ودون كيخوته هو ذلك الانسان الذي اعتقد أنه بقوة ساعده يستطيع أن يصلح كل امر فاسد ، ولم يكن ساعده بالقوة التي تخيلها فلم ينجح على العموم نجاحا ملحوظا في اصلاح مفاسد العالم .

باسو : هذا صحيح . انها قصة فارس اسباني هرم اتقد خياله بما قرأ من كتب الفروسية وأعمال البسالة، فترك قريته الصغيرة في اسبانيا لكي يصبح واحدا من هؤلاء الفرسان المتجولين . وبدأ ، على حشد قوله ، يجوب أنحاء العالم ، وحدث له ما حدث من المفامرات العجيبة المدهشة أبرزها مغامرته مع طواحين الهواء .

بريزون : نعم . فقد اعتقد دون كيخوته أنه يستطيع أن يهزمها بقوة حصانه ، وبصلابة رمحه .

سترثر : ألم يعتبر دون كيخوته هذه الطواحين الهوائية عمالقة ؟

بريزون : نعم . وقد دفعه ذلك الى حربها . وحين اقترب

(١) Hamilton Basso مؤلف « الحجرة الخضراء » .

(٢) Jan Struther شاعر ، ومؤلف « مسز منيفر » .

منها وجد نفسه فجأة مرفوعا في الهواء . إن سرفنتيس مؤلف كتاب دون كيخوته الذى عاصر وليم شكسبير ، صور ظروف عصره حين رسم البيئة التى أحاطت بدون كيخوته ؛ وذلك بالرغم من أن أعمال الفروسية بكل ما فيها من مغامرات الفرسان بدروعهم وسيوفهم ورماحهم كانت تعتبر فى عصر سرفنتيس من الأساليب القديمة ، حتى فى اسبانيا ذاتها .

ياسو : نعم هذا صحيح ، أما من ناحية شكسبير فانه حين كتب سلسلة مسرحيات عن « هنرى » كان يصور لنا تاريخا قديما الى حد ما ، فى حين نجد أن سرفنتيس - وهو معاصر لشكسبير كما قلنا - يؤلف كتابا مثل دون كيخوته يصور فيه ظروف عصره الأدبية ، لا لأن عصر الفروسية كان مستمرا فى اسبانيا ، بل لأن جزءا كبيرا من الأدب الاسباني ، وهذا ما يدعو الى الدهشة ، لم يكن الا قصائد شعرية تصف قصص البطولة فى العصور الوسطى .

سترثر : نعم ، وكان تعليق مدرياجا على دون كيخوته : « ان كتب الفروسية لم تختف بعد ، فهى لا تزال موجودة فى الأفلام وفى القصص المسلسلة . انها خلاصة الملودراما التى تنتقل من عصر الى آخر ، وكل عصر يعيد صياغتها فى الصورة التى تناسبه » .

بريزون : لقد أوضح سرفنتيس أن هذه الأفكار كانت تعتبر عتيقة الى حد ما منذ ثلاثمائة وخمسين سنة ، وما زلنا نعتمد عليها الى حد كبير كمادة للتسلية ، ولعلنا لا نأخذ هذه الأفكار مأخذ الجد كما فعل دون كيخوته . وعلى أية حال فان سرفنتيس أتم

الجزء الأول من كتابه سنة ١٦٠٥ وكان يقصد
السخرية بالفكرة العاطفية القديمة عن الفروسية،
ويظن أغلب الناس أنه حين كتب الجزء الثاني بعد
عشر سنوات من الجزء الأول اتخذ فيه طريقاً
مغايراً .

سترتر : ألم يكن الدافع إلى كتابته الجزء الثاني هو أنه ثار
لأن أحد الكتاب قد أتم على لسانه كتابة الجزء الأول
وسرق شخصياته وأفكاره مما دعا سرفنتيس إلى
الأسراع بإتمام الجزء الثاني . ويعتقد معي الكثيرون
أن هذا الجزء يتفوق على الجزء الأول تفوقاً لا يترك
مجالاً للمقارنة .

باسو : الآن يتضح لنا الخطأ الفكري الشائع ، وهو القول
بأن سرفنتيس قد ألف هذا الكتاب للسخرية من
كتب الفروسية ، فالأمر على العكس من ذلك .
فلقد قام سرفنتيس بتأليفه ليكشف لنا عن أفكار
جديدة متخذاً من فكرة الفروسية بداية لحديثه .

بريزون : هل تعنى بذلك يا سيد باسو أن الكتاب كان يتضمن
قصة تصور فارساً قد اشتط قليلاً في عاطفته ؟

باسو : بكل تأكيد . فأنا لا أعتقد أن رواية دون كيخوته
مجهود فكري ، بل هي تصوير لعواطف المؤلف
وشعوره ، بل وحياته كلها . والواضح جداً أن
شخصية دون كيخوته كانت قد شغلت بال المؤلف
وقتاً طويلاً ، وتصويره فارساً له مغامراته كانت
مجرد حيلة لجأ إليها الكاتب ليصور لنا ذلك الرجل
الذي شغل باله . والدليل على ذلك أننا نقرأ الجزء
الثاني من الكتاب الذي كتب بعد سنوات عشر من

ظهور الجزء الأول ، فنجد أن الكاتب نسي تماما تلك الحيلة . ويترتب على هذا أننا لا نجد أثرا لطريقته الأولى .

سترثر : هذا في اعتقادي هو السبب في أن الجزء الثاني كان يفوق الجزء الأول بقدر كبير .

بريزون : هل معنى هذا يا آنسة سترثر أنك تنصحين قارئ كتاب دون كيخوته للمرة الأولى - وكم أحسد ذلك القارئ - أن يبدأ بقراءة الجزء الثاني منه ؟

سترثر : لا أنصح بذلك . ولكني أوجه القارئ الى أن يصطنع كثيرا من التسامح حين يقرأ الجزء الأول ، فلا يتزمت ولا يتشدد .

بريزون : على أية حال ، الجزء الأول هو عبارة عن مجموعة من المغامرات التي يبدو عليها التفكك . والمغامرات تسير على نمط واحد الى حد ما ، فهناك دائما ذلك الفارس الذي اقتحم الكثير من المواقف الحرجة وتورط فيها ، وكان يتبعه خادمه القصير القامة « سانشوبانثا » راكبا حمارا وهو غارق في التفكير ، وكأن لسان حاله يقول : « اننى أعرف أن ما نقوم به يدل على حماقة ولكن على أى حال سأظل بجانب سيدى عسى أن يصيب خيرا من هذه الحماقات » . وهكذا تستمر القصة من مغامرة الى أخرى ، فمن طواحين الهواء الى الأغنام في صورة الجيش ، لزاحف نحو دون كيخوته . ويخيل الى أن أهم مغامرة ، بل أكثر المغامرات سخرية ، هي حينما ينقذ دون كيخوته غلاما من ضربه بالسوط ، لأنه في اعتقاده لن يسمح باضطهاد آدمى

لاخر في العالم الذي يعيش فيه . وبعد أن منع عنه
السياط التي تلهبه عاد سيده الى ضربه بسياط
اكثر واشد مما كان لو ترك لشأنه ، فقد غضب
سيده كثيرا من تدخل دون كيخوته . وفي ذلك
تكمن كل المفارقات التي استخلصها سرفنتيس من
الجزء الأول ، ولكنه لم يستخلص سواها .

سترثر

: نعم . انه قد أصاب في تهكمه عند حادثة الفلام
اكثر من حادثة الطواحين الهوائية ، أو قصة
الأسد ، أو قصة الأغنام . واننى أعتقد أن سرفنتيس
قد بدأ كتابة الجزء الأول بطريقة مسلية فجعل
الحوادث والقصة رومانتيكية مليئة بالمغامرات ،
وهكذا . وحينما بدأ الجزء الثانى من الكتاب كان
قد بدأ يتعمق كثيرا فى المضمون السيكلوجى
للأحداث . وكان أن اشتد غرامه بالشخصيات
التي يصورها مما نتج عنه التخلّى عن الاستطرادات
والقصص الصغيرة التي تأتي فى سياق الحديث
والأوصاف المتعددة التي لا ترتبط كثيرا بلب
الموضوع ، وإنما قصد بها تسلية القراء .

بريزون

: أن هذه القصص تكون أحيانا أشبه بقصص
ألف ليلة وليلة ، قصة فى داخل قصة ، وهذه
بدورها فى داخلها قصة .

باسو

: أن جمال الجزء الثانى من الكتاب فى رأى لا يرجع
— كما تقولين يا آنسة سترثر — الى أن سرفنتيس
كان عند كتابته قد هام حبا بشخصياته فحسب ،
بل يرجع أيضا الى أن هذا الجزء يقدم صورة
مدهشة للحياة والخيال فى اسبانيا فى ذلك الوقت .
فهو يقدم فكرة كاملة عن حضارة اسبانيا وقتذاك ،

فلقد كانت أمة تحيا في جو العصور الوسطى رغم ما يبدو في الظاهر من أنها تحيا في عهد النهضة الأوروبية .

بريزون : اننى أعجب من أنكما تحدثتما عن هذا الكتاب بعض الوقت دون أن يشير أحكما أية إشارة الى انه كتاب مرح وفكاهة ، مع أن أجبالا كثيرة كانت تتحدث عنه باعتباره كتاب فكاهة ومرح .

سترثر : شخصية سانشويانثا لاشك مضحكة جدا . انه ممتع . وأعتقد أن العلاقة بين سانشو ودون كيخوته رغم ما بها من عمق شديد علاقة تبعث على الاغراق في الضحك .

بريزون : هل تضحكان فعلا عندما تقرأن هذا الكتاب ؟
سترثر : اننا لا نضحك بأفواهنا ، وانما نضحك بقلوبنا .
باسبو : انه كتاب مرح دون شك . ولكنه لا يبعث على القهقهة .

بريزون : انه أقرب الى اثاره الشجن في معظم أجزائه يا سيد باسنو .

سترثر : وبخاصة في النهاية ، وفيه بعض الجمل الجميلة كتلك التى يقولها سرفنتيس على لسان دون كيخوته حين يرى الأسد ويحاول الايقاع به ، فيقول : « ان الأسد رغم ذلك قد كشف عن لين عريكته ، لا عن الزهو والخيلاء ، ولم يكن فى حالة تحسد أحقق كتحدى الأطفال » .

باسبو : وهذه الفكاهات جديدة فى نوعها . وأعتقد أن السبب الذى جعل الناس ينظرون الى دون كيخوته على أنه كتاب هزلى يرجع الى ترجمته التى عاشت ثلاثمائة

عام والتي ترجمها مترجم يدعى مارتل . واعتقد أن مارتل هذا أراد أن يخدم سرفنتيس بترجمته، ولكنه أخفق . فالذى حدث هو أنه حول هذه الكوميديا الراقية الى كوميديا من النوع الرخيص ، فهذه الترجمة لا تصلح الا نوعا من السيناريو للمهارة هزلية رخيصة .

بريزون : لقد خلت ترجمة مارتل هذه من الدعابة الذكية والسحر الذى يملأ الأصل الاسباني للقصة . ورغم هذا احب الناس كتاب دون كيخوته كما ظهر في هذه الترجمة .

باسو : والترجمة الأخرى هى لعالم فى الآداب والثقافة الاسبانية يدعى بانتام .

سترثر : هذه هى الترجمة التى قراتها . وهى جميلة للغاية .

بريزون : فان هذه الترجمة حديثة اذ لم يمض على نشرها أكثر من ثلاث أو أربع سنوات .

باسو : لقد ظهرت منذ حوالى ثلاث سنوات . ويلاحظ على هذه الترجمة الفكاهة فى اللغة الى جانب الفكاهة فى المواقف كما قالت الأنسة سترثر .

بريزون : انها ليست فكاهة المهرجين .

باسو : نعم . فليس فيها مبارزة طواحين الهواء أو الوقوع من على ظهر الحصان ، أو ما شابه ذلك .

سترثر : ولا يفوت بانتام ترجمة التوريات أيضا . ومن أعجب الأمور أنه يستطيع ترجمة التورية .

باسو : انه كتاب عظيم فى الفكاهة . ونوع الفكاهة هنا يختلف عن الفكاهة المألوفة . انه من النوع الهادىء الذى

يجعلك تضحك بقلبك دون أن تفهقه ، كما تقول
الآنسة سترثر .

سترثر : كنت أترجم بحثا في اللغة الألمانية لم ينشر بعد عن
دون كيخوته . وبينما كنت أترجم له خطرت لى فكرة
لم تخطر لى من قبل ، وهى أن دون كيخوته بعكس
فاوست وهملت لم يذكر أيام طفولته اطلاقا . فقد
نسى الريف الذى كان مسرح طفولته . انه رجل بدون
طفولة . انه الشخصية العظيمة الوحيدة فى الأدب
التي تقف صامتا تجاه أيام الصبا . واننى اتساءل:
ترى هل كان من قبيل المصادفة أن دون كيخوته كان
فى الخمسين من عمره وأن سرفنتيس كان فى نحو
هذه السن حين شرع فى كتابة هذه الرواية أى
الفصل الأول منها .

بريزون : نعم . لقد نشر الجزء الثانى قبل أن يموت بعام
واحدا ، فقد مات فى السابعة والستين . ترى هل
كان ذلك نتيجة لأنه حين بدأ كتابة الجزء الأول لم
تكن له عناية كبيرة بالتصوير الفنى المرفف
للشخصيات . لقد كتب لمجرد أن هذا النوع من
البشر قد شاقه واستهوى قلبه ، فأراد أن يكتب
رواية مغامرات ، وأراد لها النجاح . انه لم يحصل
من كتابه على المال بل حصل على شهرة كبيرة ولا يبدو
أن هذا قد أرضاه كثيرا رغم ما كان فى حياته
الشخصية من روح رومانسية . ترى هل يرجع
السبب فى هذا الى أنه لم يكن عميق الاهتمام برسم
الشخصيات ؟

سترثر : هذه نظرية لتفسير تلك الظاهرة ، ولكن توجد فى

المخطوط الألماني الذي أترجمه تفسيرات أخرى ؛
منها أنه رجل حتمت عليه ظروفه ألا يعترف بأنه
سيموت لأنه كانا مصابا بما ندعوه الآن بالبرانونيا ،
لهذا لم يكن يعترف بالزمن ولا الذاكرة - ولم يستطع
أن يسمح لنفسه بالتفكير في الماضي ؛ انها نظرية
طريفة .

باسو : اعتقد ان هذا رأى له ما يؤيده . وأنا لا أريد ان
استدرج الى الكلام في تأييد هذا الرأى لأنى أخشى
أن يجرنا هذا بعيدا عن الموضوع الى تعقيدات
سيكولوجية لا تنتهى . لكنى أعتقد أن فى ماضى
سرفنتيس شيئا لا يريد سرفنتيس أن يتذكره .
ودليلنا على هذا الرأى هو ما نجده فى الجملة الأولى
من الكتاب حيث يقول : « فى قرية لامانكا ، هذه
القرية التى لا أحب أن أتذكرها . . » فهو يقدم لنا
هذا الاعتراف ثم يتخلص منه . ولكنى أميل الى
موافقة السيد بريزون فيما يختص بالجزء الأول . .
فماذا يفرض سرفنتيس بتذكر أيام طفولته ؟

بريزون : بعد هذه البداية نراه قد جعل شخصياته تتحرك
الى الأمام . اذن فهو لا يرتد الى الوراء . ولكن هذا
ليس بالشئ الوحيد الذى يعيب تصويره لشخصياته
بالقياس الى ما يتبع عادة فى رسم شخصيات الأبطال
الكبار . انه لا توجد فى الكتاب تقريبا علاقة
غرامية .

سترثر : لا توجد علاقة غرامية حقة .
بريزون : ان دولثينا هى عبارة عن شخصية بعيدة عن الواقع ،
محايطة المشاعر .

سترثر : كان عليه أن يجد شخصا يطارحه الفرام ؛ اذ كان ذلك طابع كتب الفروسية ، وقد قال دون كيخوته نفسه : « الله وحده يعلم هل توجد دولثينا في هذا العالم أم لا توجد . فأنا أتأملها كما ينبغي لها أن تكون » .

بريزون : نعم فدولثينا هي النموذج المثالي وليست المرأة الواقعية . والمرأة الواقعية الوحيدة في الكتاب كانت فلاحنة صغيرة ليس لها أهمية في القصة ولكن سرفنتيسن نظر اليها وكأنها السيدة العظيمة أو بطلة القصة .

سترثر : لقد كان مضطرا الى ذلك ؛ فقصة الحب الحقيقية في الكتاب هي تلك التي بين سانشوبانثا وحمارة الرمادي الصغير .

باسو : انها قصة غرامية طريفة .

بريزون : يبدو لي أن هذه كانت عادة سانشوبانثا فعلا ؛ فهو لم يحب زوجته أو أسرته ، ولكنه أحب حمارة الصغير الرمادي لأن هذا الحمار كان ينفعه ؛ فقد كان يركبه في كثير من مغامراته المضنية .

باسو : لا تظلم الرجل ؛ فقد كان سانشو أبا حنونا بطريقته الخاصة كما كان زوجاً مخلصاً .

بريزون : هذا حق . ولكن الآنسة سترثر تقول ان قصة الحب كانت بينه وبين حمارة ، وبمعنى آخر ان حبه الوحيد كان لخادمه الذي أدى له أشق الأعمال .

سترثر : اننى أخالفك في ذلك . فلم يكن هذا عدلاً . فقد كان سانشو تعباً أشد التعاسة حين فقد حمارة ، وكان من السهل عليه أن يجد بديلاً عنه في اسبانيا .

ولما عاد سانشو الى حماره بعد تجربة الحكم التي
انهكت أعصابه قال سانشو موجهًا الحديث لحماره:
« حينما كنت معك لم يكن لى من هم غير اصلاح
سرجك واعداد طعامك » .

باسو : نعم ان الحب الحقيقى الموجود فى الكتاب هو فعلا
ذلك الحب بين سانشو وحماره الرمادى .

بريزون : واظن ان هذا من الأشياء الطريفة فى الكتاب ، كما أنه
يصور شخصية سانشو نفسه .

باسو : ولكنها ليست قصة غرام . فلا يمكن ان يعطينا
الكتاب قصة غرامية . فهو كتاب عن الفروسية ليس
غير ، عن فكرة الفروسية بأكملها . وهذا هو الذى
يقرب الكتاب من فكرة للحرب والسلام . ان الكتاب
يقدم الصورة المثالية للفروسية ، وهى لم تكن تشبه
على الاطلاق الحقائق الواقعة فى عصر الفروسية .
وفكرة الفروسية وفكرة الشهامة وفكرة الشرف
ليست من الأفكار التى عفى عليها الزمن . واذا كان
لدى الأطفال الأمريكىين اليوم فكرة عن الفروسية
فهى فى اعتقادى مستقاة اساسا من مغامرات رعاة
البقر .

بريزون : حقا .

باسو : فى افلام رعاة البقر نجد الكثير مما يتردد فى فروسيات
دون كىخوته . والفرق بينهما هو انهم يسبقون
عليها ثوب رعاة البقر . أما بشأن الحرب فأتنى
لا أصدق ان مثل الفروسية لا تزال تنطبق عليها ؛
اذ يقال عن الحرب اليوم انها مبارزة بين مصنع
وآخر . ومن المعقول جدا أنه ليس هناك من مصنع
يعنى بالفروسية . ولكن أعمال الفروسية هذه كان

لها طابعها وروتقها لحقبة طويلة من الزمن ، فكانت قائمة أيام حرب أمريكا الأهلية ، الحرب بين ولايات أمريكا ، واتضح بعد هذه الحرب أن سدنى لانير شاعر ولاية جورجيا كان له فعلا فرقة من رماة القوس والسهم .

بريزون : هذا مانسمية بالكيخوتية .

باسو : أظن أن المزارع القديمة في الجنوب لا تزال تعمل بطريقتها ، بل لعلها المعقل الوحيد الذى لم تنزل تتجسد فيه فكرة سير وولتر سكوت عن العالم . وفكرة المزرعة الجنوبية هذه نقلها اللاجئون من الجنوب الى تكساس بعد الحرب الأهلية الأمريكية . وكان هؤلاء اللاجئون هم الذين أدخلوا شيئا من هذه الثقافة الى ولايات الغرب ، ومنها نشأت أساطير الغرب الحالية .

بريزون : هذه الفكرة التى تحوم حول راعى البقر الهمام الذى يتجول من مكان لآخر منقذاً الفتيات الجميلات من سارقى الخيول والماشية الى آخر ما يمكن أن يسرقوا . وبعد أن ينقذهن يتركهن لمغامرة أخرى دون أن يقع فى غرام أحدهن .

باسو : لا يمكن لراعى البقر المتجول أن يقع فى حب فتاة أو أن يتزوجها . ان هذا معناه أنه لن يظهر فى الحلقة الثانية من المسلسلة فى الأسبوع التالى .

بريزون : انك تجد نفس الشيء فى معظم أدب غرب أمريكا . وتجده من وقت لآخر فى مغامرات الفروسية حين تبلغ أوجها الفنى كما هى الحال مثلا فى الفيلم الشهير : « آن الأوان (١) » .

- باسو : انه فيلم رائع فعلا .
- بريزون : نرى في هذا الفيلم بعض الأشياء التي توضح لنا انه من الممكن أن نأخذ مثل هذه الموضوعات مأخذ الجد . فالفروسية متمثلة في الرجل الذي لا يعنيه الا شرفه لا يزال يمكن أخذها مأخذ الجد . ان الحرب الحالية قد لا تتيح للفرد فرصة المخاطرة والمجازفة والشهامة ، بل انها قد لا تتيح للفرد فرصة غير الموت . لكن لا يزال هذا المثل الأعلى ينبض بالحياة .
- باسو : اظن ان هذه الفكرة كانت موضوع احدى قصص همينجواي .
- سترثر : ولكنها فكرة اسبانية بحتة .
- بريزون : ولكن كيف يفسر لنا هذا الموقف . اذا كان سرفنتيس يهزأ ويسخر ويتهكم من الفروسية حتى أصبحت الكيخوتية تعنى البطولة الحمقاء طوال ثلاثمائة سنة، فكيف اذن يمكن ان نظل على ايماننا بالأمور التي حاول ان يتهكم عليها .
- سترثر : لأن البطولة الحمقاء هي من الأشياء القليلة الباقية التي تستحق الايمان بها .
- باسو : اننى اوافقك على ذلك . ولكن سرفنتيس لم يهزأ من الفكرة ، بل من المغالاة الشديدة التي كانت تصورها . قصائد الفروسية وكتبها ، فالكاتب الذي غرق في بحر من القصص التاريخية واحدة بعد الأخرى ، وكون رأيه في الحياة كلها على أساس هذه القصص، من الممكن ان يخرج هذا الكاتب الى العالم ويحاول ان يصوغ سلوكه على هدى ما قرأ . ومن الممكن لمثل هذا الشخص أن يقع فيما وقع فيه دون كيخوته

من المواقف المخرجة المضحكة ، على أن سرفنتيس لم يهاجم سلامة فكرة الفروسية ؛ ففكرة الشرف والشجاعة ومساعدة الضعيف ، كل هذه أفكار نبيلة ، ولا أظن أن سرفنتيس قد قصد أن يحطم هذه الأفكار بأية حال من الأحوال أو حتى يشكك في صحتها . فهو نفسه كان من هذا النوع من الرجال ، ويجب أن نفكر دائما في سرفنتيس على أنه جندي قديم ، فهو لم يكن أكثر من ذلك .

بريزون : نعم جندي قديم أصيب بجراح من أجل بلده ولم يجز على هذه التضحيات . فلا بد أنه كان ذلك الفارس المثالي وقتا ما .

سترثر : نعم . فقد وردت فقرة رائعة يصف فيها سانشوبانثا سيده دون كيخوته ، فيقول : « انه متواضع مع المتواضعين متكبر مع المتكبرين ، شجاع في وجه الخطر ، قاس اذا لزم الأمر ، يحب دون ابداء الأسباب ، يقبل على فعل الخير ويكره الشح والبخل . وفي كلمة واحدة هو فارس جواب آفاق وحسبه هذا الوصف » .

سهراب ورستم

Sohrab and Rustum

نادر نولد

Arnold

آرنولد

مانيو آرنولد - (١٨٢٢ - ١٨٨٨) شاعر انجليزى وناقد من أبرز رجال التعليم . ولد فى « لالهام » . درس فى مدرسة « راجبى » حيث عمل أبوه ناظرا ، ثم درس فى أكسفورد ونال فى كل منهما جائزة على شعره ، عمل سكرتيرا خاصا ثم مدرسا فى « راجبى » ، ثم أستاذا فى أكسفورد سنة ١٨٥٧ . ولكن العمل الذى استغرق حياته الوظيفية كان التفتيش على التعليم لمدة خمسة وثلاثين عاما (١٨٥١ - ١٨٨٦) . وفى هذا رحل الى فرنسا والمانيا وهولندا ، وله تقارير عن التعليم والمدارس والجامعات فى أوروبا مطولة ومعروفة . وكان أثره فى تطور التعليم كبيرا . وفى آخر أيامه زار أمريكا مرتين .

نشر مجموعتين من الشعر سنة ١٨٤٩ و ١٨٥٢ ممضاة بالحرف الأول (١) ثم نشر سنة ١٨٥٣ أول ديوان باسمه كاملا ، وفيه بعض ما انتخب من المجموعتين السابقتين سنة ١٨٥٥ ، ثم نشر مجموعة شعر أخرى عين بسببها أستاذا للشعر فى أكسفورد سنة ١٨٥٧ حيث استمر عشر سنوات . وفى سنة ١٨٥٨ نشر التراجميدا الكلاسيكية « ميروب » ، وبعد تسع سنوات نشر مجموعة أخرى من الشعر .

»
وفي أثناء عمله في أكسفورد نشر مجموعات من
المقالات النقدية ثبتت اسمه ناقدا . « ترجمات
هومير » سنة ١٨٦٠ . « ترجمة هومير بين النظرية
والممارسة » سنة ١٨٦١ . مجموعات نقدية جزء أول
ثم ثان . وفي سنة ١٨٦٩ نشر « الثقافة والفوضى » .
له دراسات في الدين « الله والكتاب المقدس »
سنة ١٨٧٢ و « الكنيسة والدين » و « بروتستانتية
القديس بولس » الخ ...

قرن بين آرائه في الدين والمجتمع والتعليم وبين
النقد الأدبي ليستخرج نظرياته . مات بالقلب فجأة
سنة ١٨٨٨ .

تعريف بالكتاب والمؤلف

سمع « زال » ابن حاكم الهند والسند بجمال « روذابة » بنت « مهرب » ملك « كابل » فعشقها . وحالت الأوضاع السياسية بين البلدين دون هذا الزواج الذى بشر المنجمون بأن سيكون منه مولود يملأ الدنيا فخرا ومجدا . وبعد استعطاف الملك « منوچهر » ملك فارس تم الزواج فولد « رستم » . ولقد لاقت أمه فى ولادته آلاما أسطورية لضخامته ، فلما راته قالت : « برستم » ، أى خلصت . ووضع رستم نفسه فى خدمة ملوك فارس .

وبدأت الأساطير تسمى مغامرات وحروبها بطلها رستم الجبار الذى يشق الأرض ، وتزلزل له الجبال ، وتفتت فى طريقه الأحجار ، ويهزم الانس والجان . واستنجد به الملك « كيكائوس » وقد أوقعه الملك « مازندران » وشياطينه فى الأسر ، فركب جواده « الرخش » وفك أسار كيكائوس وهزم العدو ، بل هزم معه جنة وشياطينه . وكذلك هزم رستم « پيران » قائد التورانيين ومن معه من الحلفاء العظام يوم استنجد به الملك « كيخسرو » . لقد كان رستم عماد فارس فى الحرب طوال العهد الخرافى .

وخرج رستم للصيد مرة فنام ، وسرق بعض الناس « الرخش » جواده ، فدخل مدينة « سمنجان » ل يبحث عنه ، فرحب به ملكها واستضافه . وجاءته ابنة الملك ليلا تطلب أن يكون لها منه ابن فى مثل شجاعته . فأعطاه خريزة نادرة تشدها على عضد المولود ان جاء ذكرا . وفى الصباح وجد جواده ورحل . وشب الطفل سهراب وعرف من أبوه ، وبرز فى فنون الحرب ، وتطلع الى اليوم الذى

يلقى فيه أباه . ولكنه تطلع أيضا الى ملك الفرس والتورانيين معا . وخطط لذلك بأن يبدأ بكيكاوس ملك الفرس ، حتى اذا فرغ منه اتجه الى « افراسياب » ملك التورانيين . ولم يعرف افراسياب من خطط سهراب شيئا ، ولكنه فرح بهجوم سهراب على كيكاوس فشجعه وعضده ليرىحه من عدوه . وبعث معه من يعرف قصته ليحول دون لقاء الابن مع أبيه حتى لا يتفقا معا عليه . وربطت الأم الخرزة الى عضد الشاب سهراب وودعته وهى توصيه بأن يسعى الى لقاء أبيه رستم .

وقوض سهراب خيمة كيكاوس فخرج اليه رستم يدافع عن ملكه ، وتبارز الابن والاب دون أن يعرف أحدهما الآخر . وشك سهراب ، لما رأى ضخامة عدوه وشجاعته ، فى أن يكون هو رستم حسب وصف أمه لأبيه ، فسأله . . ولكن رستم أبى أن يجيب اجابة شافية . ويثس سهراب من لقاء أبيه وعادت المباراة . ودامت المباراة نهارا كاملا وظلم الليل واستراح الفارسان . وفى الفجر تلاقيا كل على جواده . وكان سهراب قد ضرب رستم ضربة قوية فجاءه فى حنان يسأله عن حاله بعد راحة الليل ، وأخذ يعرض عليه وقف القتال . ولكن رستم الذى دوخ الجيوش وهزم الانس والجان ظن ذلك خديعة ، فرفض ، وترجل الفارسان وبدأت المباراة فى يومها الثانى . وكاد سهراب يهزم رستم فاستمهله فجئ اليه وقبل الهدنة . وفى الجولة الثانية جرح رستم سهراب جرحا بالغا مميتا . فلما رأى سهراب الموت ذكر أمه وحدث رستم عن البيت والأم . وشك رستم فكشف سهراب عن عضده . فاذا الخرزة العلامة . فأظلمت الدنيا كلها فى وجه رستم وصرخ صراخا صدع الجبال . وعاد حاملا ابنه وقتيله ، وهو غير الوجه أشعث الشعر سائل الدمع ممزق الثياب معفر الرأس بالتراب الذى أهاله عليه حرقه وندهما . وأخذ يتلقى عزاء الاخوان فى ابن له كم ذا تمنى أن يكون له مثله . .

هذه هي الأسطورة البطولية التي بنى الشاعر الفردوسي الفارسي عليها هذا الجزء من الشاهنامة رائعته المشهورة . وترجمت أجزاء من الشاهنامة في عصر آرنولد وذاعت ، فبنى عليها آرنولد قصيدته الملحمية : « سهراب ورستم » . وهو يصور كل هذه الأحداث بتغيرات طفيفة ويقف بها عند حد هذه المأساة فلا يتتبع نهاية رستم ؛ وكانت مأساة ثانية عندما قتل على يد أخيه « شعاذ » . ان التراجيديا اليونانية التي اهتم بدرس أصولها وكتب مقدمة تراجيدية « ميروب » عن النسق التراجيدي اليوناني الذي طبقه طبق الأصل جعلته يأنس الى مأساة القدر أنسا عجيبا . كذلك قوى هذا الميل والأنس دراسته لهومير فترة هامة من أيام تدريسه باكسفورد .

لقد وجد في التراجيديا اليونانية نفسه ، وأحس أنها أصدق ما يمكن أن يعبر بها عن حاله وعن عصره ، وقد أحس هو وأهل زمانه الانفصام عن حوله . ان الانسان في زمانه قد أصبح جزيرة وحده ومأساته في صرخاته المدوية التي يعبر بها عن حاجته الى الاتصال الانساني الروحي المكين والتي تذهب سدى . ان الانسان يسعى ليتوحد مع غيره ، ولكن جهوده فاشلة وسعيه باطل . وشغلت غربة الفرد في المجتمع عقل آرنولد منذ صباه ، فمجموعة شعره الاولى عنوانها : « الحالم الهائم » ، وفيها قصيدته الرائعة « المرمان » (نصفه انسان والنصف الآخر سمكة) . ومجموعته الثانية سماها باسم « أمبيدوكليس فوق جبل اتنا » حيث ينقسم الشيخ من قومه فيصعد الجبل وهناك يشقى بوحدته كما شقى من قبل بوحدته مع قومه . ونفس الموضوع يكرر في قصائد « الملك المريض في بخارى » وفي « العالم الجان » وكثير من قصائده .

ودفعته مأساة الغربة والانفصال الى الخيال لعله يكون ملاذا من روح العصر : روح الغباء والأناية والجهل . هذا العصر الذي هاجمه أعنف مهاجمة شاعر « شرتروز الكبيرة » اذ يقول انه عصر :

هائم بين عالمين : عالم ميت
وعالم آخر عاجز عن أن يولد

انه عصر ذابت فيه المعتقدات الدينية ولم يجد الناس عنها
بديلا . لقد فر بعض شعراء النصف الأول من القرن التاسع عشر
الى الطبيعة يتحدون معها ويجدون أنفسهم فيها . ولكن آرنولد
لم يجد نفسه في الطبيعة . وأحس الألم من مجتمع خيب ظنه بكل
طبقاته . وذاعت عنه تعابير قاسية ضمنها نقده للمجتمع فقد قسمه
الى « برابرة » ارسقراطيين ملكوا الاشياء الجميلة وافتقروا الى
الذكاء فأساءوا فهم الجمال واستعماله ، وقد عفى الزمن عليهم
ولا يمكن للأفكار الحديثة أن تجد سبيلها الى رؤوسهم . أما الطبقة
الوسطى طبقة « المنافقين » كما يسميها هؤلاء جهلة أغبياء ، ومن
غباثهم نراهم راضين عن أنفسهم . وأما الطبقة الدنيا فهي فجة
عمياء ولا يمكن لها أن تقوم بأى دور فى المجتمع . ان الثقافة وحدها
هى التى يمكن أن ترفع كل هؤلاء الى مستوى الدور الذى يجب أن
يقوموا به . ومن هنا جاء حماسه للتعليم . وقد درس على الطبيعة
طرقا كثيرة وتجارب واسعة قوية فى فرنسا وألمانيا وغيرها وكتب
مذكرات عنها ، منها :! كان يعتمد عليه البرلمان نفسه فى اصلاح
التعليم فى انجلترا . لقد أصلح أبوه مدرسة « راجبى » وأدخل
فيها العلوم الحديثة ، وعامل الطلاب معاملة مباشرة فآثر فيهم وفى
تكوينهم ، وتسلم من أبيه نفس الرسالة بتوسع اكبر فشمّل التعليم
كله فى الدولة . ولكنه حينما لراجبى أو احقاقا للحق لا ندرى كان
يضغط على أهمية التعليم الثانوى « شىء واحد نحتاج اليه نحن
الانجليز ، هو تنظيم التعليم الثانوى » ، هكذا كان يقول آرنولد .
ان الفضل يعود الى ايمانه القوى فى أن أصبح التعليم من أهم
ما تعنى به الدولة ؛ فلقد نادى بأن التعليم يجب أن يكون مركز
اهتمام الدولة وواجبها الأول نحو الشعب . وبذلك كان يخالف

اوضاع التعليم الحر الذى سارت عليه انجلترا زمانا طويلا . بل كان يرى وجوب التخطيط العام فى هذا الميدان وضرورة تطور التعليم ليناسب حاجات العصر . ان التاريخ يذكره ناقدا اكبر منه شاعرا ولكن تاريخ التعليم يجب أن يبوئه المقام الأسمى . ولا ننسى أنه كرس للتعليم خمسة وثلاثين عاما هى زهرة عمره كله .

ولكن اهتمامه بفساد العصر وإيمانه بأن ذوبان الاهتمام الدينى والإيمان بالله من أسباب عزلة الإنسان فى هذا العصر وتعاسته شغله بموضوعات الدين ، فألف فيه كتباً كثيرة . وكان يؤمن أن الدين يجب أن ينبع من واقعنا الذى نمارسه . ان الدين اذا تخلص عن تفسير الواقع وربطه بكل القوى من حوله فانه لا يعود يحيا . يقول : « اننا تقترب من الدين لا بالإيمان بمعجزاته ، وانما بفهم حاجتنا اليه وبقدرة الدين على تفسير ما نعجز عن تفسيره من تجارب الحياة من حولنا ؛ من هنا يجب أن نبدأ . انى أرفض الدين كما هو الآن ولكنى مؤمن أن الدين لابد منه » .

ولكن الدين لم يحل له مأساته . لقد ظل ممزقا بين الرغبة فى الاتحاد والرغبة فى الانفصال . ان الحب الذى هو أقوى تجربة اتحاد مع الآخر فى حياة الإنسان لم يلعب دورا هاما فى حياة آرنولد . لقد أحب « راشيل » ممثلة فرنسية وله قصائد فى « مرجريت » أحلاها قصائد الفراق الذى أراده وفرضه على نفسه ، وتزوج « فرنسيس لوسى » ، وهى ابنة قاض من أصدقائه . ثم لا نعرف عن تجربة الحب فى حياته أكثر من هذا .

وامتلا رأسه بفلسفات ونظريات ، وبخاصة اليونانية منها والأوروبية . لقد تأثر بأربعة كما يقول فى رسائله لنيومان : سانت بوف وجوته ووردزورث ونيومان الذى كتب اليه بذلك . ومن هنا امتاز أسلوبه بالوضوح المنطقى المأثور عن اليونان ثم الفرنسيين ، كما امتاز بالحيوية والذكاء .

أما شاعريته فكانت غنية ثرة لم يفرغ لملكته ولم يرعها في المقام الأول ؛ فلقد شغل بالتعليم كمهنة ، كما شغل بنقد الحياة من حوله وجعله محور دراسة صورة الحياة في كتب الأدباء ، أى في النقد الأدبي . ولكن شاعريته ذات حس فطري غنائى عذب واضح يهتم فيها بالموسيقى التى تتنوع وتأتيه الأوزان عفوا دون معاناة ، كما كان يهتم بتخير اللفظ البسيط الموحى .

وعكست سهراب ورستم كل الآثار التى برزت في حياته . قسوة المجتمع متمثلة في منظر الجيشين يرقبان مبارزة مأسوية دون أن يعرفا شيئا أو يتأثرا بشيء . وهذا الشقى الشرير الذى يعرف أمرهما — ولكنه حرصا على الدنيا — يريد لهما ألا يتعارفا حتى لا يتجنبنا المأساة . وكأننا البطلان منفصلان وحدهما عن المجتمع كله . وهذا ابن يرى في أبيه مثله الأعلى ثم لا يصل الى التوحد أو الاتحاد معه ، وإنما تكون ساعة اللقاء هى نفسها ساعة الوداع . ولعل هذا كما يقول الحوار حول الكتاب انعكاس للانقسام الذى أحسه آرنولد بين شخصيته وشخصية أبيه هو . فليس مصادفة أن يبرز أبوه في ميدان التعليم وأن يكون مثله الأعلى ثم لا يرثيه إلا بعد موته بسنوات طويلة وبقصيدة رائعة هى « مصلى راجبى » . لقد كان كل شيء يدعو الى أن يتفجر حزنه قبل ذلك بكثير . ولعل رثاءه لصديقه « كلف » في « ترسيس » كان أطول وأقوى وأبرع . وهو بطبعه متقن الشعر المأسوى الحزين . ويلعب القدر دوره كيفما شاء هذا القدر الذى آمن به آرنولد فاذا النتيجة مأساة الحروب ؛ مأساة مجتمع بنى نفسه على حروب لا تنتهى وكأنما أرادها أن تشغله عن واقع المرير . بدل أن يسعى الى فهم هذا الدافع والى تفسيره والنصعود به نحو الكمال السعيد .

ومأساة الحرب في الفرد أقوى . انه يقف بنا في القصيدة أمام ذكريات الأم والبيت والاستقرار فيما يقص الشاب الجميل الجريح

على أبيه ، فاذا كل هذه الحياة الهنيئة الجميلة وقد عكست صورتها على خلفية عظيمة من النهر الكبير والجبال والرمال التي برع في رسمها الفنان الشاعر فتجعل التناقض بينها وبين ما جره القدر بالموت من الانفصام الأبدى بين الأب والابن يحز في النفس ويشعرها بمأساة الانسان في صراعه نحو اللقاء أو الاتحاد مع الغير .

لقد رسم آرنولد مأساة الانسان في عصره : مأساة الضياع على لوحة اسطورية فارسية وبذلك قدم ما يجب ان يقدم الشعراء لأمتهم . لقد لام الشعراء في زمانه لأنهم « لم يربوا ولم يوحوا بشيء لمجتمعهم فعجزوا لذلك عن أن يغيروا فيه شيئا » . ان مهمة الأديب في نظره هي « نقد الحياة » ، مهمته « أن يعطى الناس فهما تاما لموقف العصر كله » . وبذلك يكون الشاعر في نظره وسيلة للخلاص من الشقاء في المجتمع . واستخدم آرنولد الحرب لأنها الوسيلة الكبرى للانفصام الروحي والانفصام المادي الأكبر : الموت .

وفي سهراب ورستم تصعد الحركة بسرعة نحو اللقاء والتوحد بين الأب المفصوم عن ابنه حتى تصل الى الدروة فتنزل فجأة بتكنيك تراجيدي يوناني فوق الواقع المأسوي فترتطم به ارتطاما عنيفا اليما . وبهذا ضمن آرنولد كراهة الناس للحرب المحقق الأكبر للانفصام الروحي والمادي .

الحوار

ي. د. هـ. جونسون (١) فرجاليا بيترسون (٢) لي مان برينزون

برينزون : ن قصيدة سهراب ورستم لماثيو آرنولد هي ملحمة طويلة تصف الحرب الرومانسية والسلام . وهي أيضا مأساة العلاقات الشخصية . انها تمثل نزاعا ملحما بين بطلى جيشين متحاربين ؛ نزاعا شائقا دائما في حد ذاته .

جونسون : انها كما هي شائقة ، وبخاصة ان البطلين المتحاربين هما اب وابنه لا يعرفان الصلة بينهما وهما في حومة الوغى .

بيترسون : ان هذه الملحمة تعتبر من أكثر القصص الرومانسية اتساما بالطابع الحديث ، والرومانسية هنا ليست بالمعنى الشائع . انها تتناول الخلجات النفسية الرائعة عند سهراب ورستم ، أى عند اب وابنه وهما يقتتلان في المعركة دون أن يعرف أحدهما الآخر . فتصف هذه الخلجات في عبارات سيكولوجية حديثة بحيث يمكن اعتبارها دراسة لما يبعث على الكبرياء وما يبعث على العناد . انه لأمر بالغ الطرافة أن ماثيو آرنولد كان يفكر بنفس الطريقة التى نفكر بها .

(١) E. O. H. Johnson أستاذ اللغة الانجليزية بجامعة برنستون .

(٢) Virgilia Peterson ناقدة ومحاضرة .

بريزون : بالطبع . فماثيو آرنولد لا يعد من القدامى . غير أنه في كتابته كان الى حد ما جامد التفكير كأي فكتورى لم يسمع بتاتا بكلمة السيكولوجية ، وان كنت أعلم ان بغض الناس قد سمعوا بها قبل زمن فرويد .

بيترسون : سيكون قد مضى على كتابة هذه الملحمة مائة عام عند حلول العام القادم .

بريزون : انى لا اعتبرها حديثة بهذا المعنى . ولكنى حين وصفت الحرب بالرومانسية كنت أعنى الجيوش المتحاربة بملابسها الحربية الفارسية القديمة الزاهية الألوان ، ون القتال كان بالسيوف وعلى ظهور الخيل ، وصرخات الجنود ترن فى سهول آسيا الوسطى الشديدة الرياح . وهذا هو المعنى الذى قصدته بالرومانسية . فأنا لم أقصد المعنى الآخر للرومانسية ، وهو أنها غير حقيقية .

جونسون : انها أيضا رومانسية بهذا المعنى الأخير ، لأنها تمثل تقاليد الفروسية وتقاليد الشهامة ولأن الخطيئة الكلاسية هنا التى نلوم مقترفها عليها هى كبرياء الأب الذى سنحت له الفرص العديدة طوال هذه الملحمة لأن يعرف أن سهراب ابنه ، ولكنه لم ينتهزها .

بريزون : دعنا نرجع الى قصة الملحمة ، هل تفضل يا سيد جونسون فترويها لنا ؟

جونسون : تتلخص القصة كما يرويها آرنولد فى أن جيش التتار وجيش الفرس تقابلا على ضفاف نهر الأكسوس ، وحرصا على عدم اراقة الدماء . يذهب سهراب بطل جيش التتار ويقول لقائده : « لن نحارب اليوم ، ولكنى سأتحدى بطل جيش الفرس فى مبارزة على

أن الفوز في هذه المباراة يعتبر انتصارا للجيش
الفائز » .

بيترسون : أراد سهراب أن يبارز رستم شخصيا ، أو على الأقل
كان ينبغي لقاءه ، لأنه أبوه وكان يبحث عنه منذ
وقت طويل .

بريزون : ولكن سهراب كان ابنا غير شرعى . أليس كذلك ؟

بيترسون : لقد عرف سهراب أباه . ولكن رستم لم يكن يعرف
أن مبارزه هو ولده لاعتقاده أن ابنة ملكة أذربيجان
قد ولدت له بنتا .

بريزون : ابنة الملكة التى هجرها رستم منذ زمن بعيد والوليد
فى بطن أمه .

بيترسون : وقد اشاعت الأم حينذاك أنها أنجبت بنتا خوفا من
استيلاء رستم على الطفل فقد أحبت أن تخلص ابنها
من شرور الحروب ومن المصير الذى لقيه بعد ذلك .

بريزون : اذن أمامنا الآن أب وابنه لا يعرف أحدهما الآخر ،
وهذا فى حد ذاته من أعنف المواقف الدرامية لأنه
من المحتسم أن تقع الكارثة أو المأساة حين يعلم
المنتصر صلتة بالمهزوم بعد فوات الأوان .

جونسون : مما يزيد من عنف الدراما أن رستم كأخيل فى
الإلياذة كان قابعا فى خيمته ناقما على تخطيه فى
قيادة الجيش التى آلت لمن هو أصغر منه سنا ،
حتى أنه كان غير مرحب فى هذا اليوم بالمبارزة ،
رغم أنه كان بطل الجيش الفارسي وكان من أثر
كبريائه أنه لما قبل المباراة أصر على أن يكون متنكرا
ومجردا من رتبة العسكرية .

بريزون : فى هذا الصدد يقول رستم البطل الشهير : « نعم
سأبارز بطل جيش التتار بشرط ألا يعلم أحد أننى
أعظم مقاتل على وجه الأرض » .

بيترسون : وقد وافق رستم على المباراة عندما قال له الرسول
الذى كان يبلغه الخبر : « انك تضمن بقوتك
وشجاعتك وبطولتك . وسوف يقول الناس ان
رستم لا يود المخاطرة بنفسه مرة أخرى » . وهنا
ثارت كبرياء رستم ونهض نهوض المحاربين العتاة .

جونسون : وهنا يحدث اللقاء الذى أراده القدر . فرستم كان
يرفض هذه المباراة بادية الأمر ، كما كان يربأ
بنفسه عند التقائه بهراب أن يبارزه لصفر جسمه
ولشعوره بالتأثر أمام هذا الخصم الصغير قائلاً فى
نفسه : « لو أن لى ولداً لكان مثله » . ومن ناحية
أخرى تأثر سهراب عند لقائه برستم ، وكان يحس
فيه روح الأبوة ، فكادت تمتنع نفسه عن هذه
المبارزة ، وكان كل منهما يخشاها . وبالرغم من
هذا الاحساس هل ستقع المباراة ؟

بريزون : هل سيتعرف كل منهما على صاحبه ؟ وحتى اذا
عرف كل منهما الآخر فتقاليذ تلك الأيام كانت
تفرض عليهما الاستمرار فى المباراة . أليس كذلك
يا سيد جونسون ؟ فقد كانا بطلين لجيشين
متعاديين ، وكان كل من الجيشين يتحدى الآخر .
ولو فرضنا أن رستم قال فجأة : « هذا الشاب
لا بد أن يكون ولدى الذى أتمناه ! » . وقال سهراب :
« اننى أعرف انك أبى » . لو حدث هذا فهل كانت
المبارزة تستمر ؟

جونسون : ربما كان يحدث ذلك فعلاً لو كانت قصة رستم
وسهراب كتبت فى قالب أسطورى ، الا أنها ألقت فى
القرن التاسع عشر . وقد اتاح آرنولد الفرص

العديدة للابن والاب كى يتراجعا عن المبارزة ،
ونشعر نحن أنه لو عرف أحدهما الآخر لتوقف
القتال .

بريزون : دون مبالاة لوقائع التاريخ .

بيترسون : دون مبالاة بوقائع التاريخ لوجود عاطفة الأبوة ؛
فالعرف والتقاليد السائدة فى تلك الأيام تجعل
العلاقة بين الاب وابنه من أقوى العلاقات الممكن
تصورها . وكان من المحتمل أن يطلب رستم من
ابنه أن يصحبه الى بيته ليشاركه السراء والضراء .
والواقع أن هذا هو ما تمنى رستم : أن يكون له ولد
يحمل عنه عبء المسؤولية . وفى هذه الحالة يبطل
مجال المبارزة . وأظن أننا قد أغفلنا أعظم موقف
درامى فى الملحمة وهو صورة الجيشين وهما
يرقبان بطليهما وقد توجه كل منهما للقاء غريمه
فى مكان المبارزة المختار - التار يهتزون فرحا وهم
يرمقون بطلهم سهراب متقدما ، فى حين يظهر على
الفرس الاكتئاب وهم يرون سهراب ، ولكن حينما
يظهر رستم بعد ذلك تعود اليهم الشجاعة والأمل
ويقف الجميع صامتين وكأن على رؤوسهم الطير .
وتشرق الشمس على البطلين وتغرب وهما ما يزالان
يتبارزان ، ثم يخيم عليهما الظلام وتعصف الرمال
حولهما وهما يتضاربان . انه لمنظر مذهل يستحق
أن يصور بريشة الرسام الفنان .

جونسون : هذا حقيقى يا آنسة بيترسون . الواقع أن الرمزية
فى هذه الملحمة تلعب دورا خطيرا ، فلو أضفنا الى
تخيلك صورة رستم وهو فى ملابس السوداء فى

منظره الضخم ودرعه السوداء كأنه الموت يخيم على
الجو كما سبق في أول الملحمة . انه رجل حزين
خاض الكثير من المعارك ومجرد ظهوره في قلب
المعركة يذكرنا بمن سفك دماءهم من الأبطال . ثم
يخيم الضباب على المتبارزين ليشعرنا أنها هي
اللحظة الحاسمة . ونعرف من الملحمة بعد ذلك
ان رستم قد قضى حياته كلها في سفك الدماء
ولعذاب . انها الصورة الحقيقية للمحارب المحترف .

بريزون : المحارب المحترف الذى تساوره الشكوك فجأة في
جدوى مهنته ، هل كان لديه شعور بأن عظمته
الحربية ستكون سببا في نكته المريرة ؟

جونسون : ان هذا نفس شعورى ؛ فالغلام الذى يحاربه رستم
الخفيف الحركة الصغير البنية لم يخض معركة
حربية قبل ذلك ، ويعتقد رستم فى هذه الحالة
ان انتصاره عليه سيكون سهلا ، فلرستم شهرته
الحربية ، وهو ليس فى حاجة لاكتساب مزيد من
الشهرة لنفسه ولجيشه ، اذن فلا داعى لاراقة دم
هذا الشاب .

بيترسون : الحقيقة انه ما كان لينتصر على غريمه لولا تلك
الهفوة البسيطة . فحين تقابل البطلان للمبارزة
لأول مرة فاجأ رستم سهراب بضربة عصا ، فكان
ان سقطت منه تلك العصا وسقط هو معها على
الرمال مما جعل سهراب يهزأ به قائلا : « لم يكن
ثمة داع للقيام بهذه الفعلة ، فليس هذا هو السلاح
اللائق بالمبارزة ! » . ووقوف سهراب بثبات
وشهامة وعدم انتهازه الفرصة للفتك بغريمه كان

طعنة في كبرياء رستم الذي انتفض غاضبا وهو يرفع حربته ويقول بلا تفكير : « رستم .. ماذا دهالك ؟ ! » لقد زل لسانه مفصحا عن شخصيته ؛ وفي تلك اللحظة تحقق الشاب المسكين سهراب أنه يبارز أباه ، فصعق وفقد السيطرة على الموقف واذا بحربة أبيه تخترق قلبه وكانت الضربة القاضية .

بريزون : لقد لجأ آرنولد بالطبع الى هذه النهاية لانه لم يكن من السهل عليه أن تكون الشجاعة والقوة وحدهما كافيتين لوضع حد للمبارزة ، فكان لزاما على القدر أن يلعب دوره . ويخيل الى أن هذا من لأساليب التراجيدية التي يلجأ اليها الشعراء أمثال ماثيو آرنولد . لقد كان محتما على القدر أن يتدخل لأنه من المقدر أن يقتل رستم ابنه سهراب مهما يكن الأمر . فمثل هذه الحادثة لا دخل فيها للقوة أو الشجاعة .

بيترسون : لم تكن هذه من بنات أفكار آرنولد وحده ، اذ سبقه اليها الفردوسي الشاعر الفارسي الذي عاش في القرن الحادي عشر ضمن أحد أجزاء كتابه « سير الملوك » الذي يعتبر من أعظم القصص الذي كتبه شاعر من شعراء الفرس . والفرق بسيط بين الفردوسي وآرنولد ، فمثلا عندما يعرف رستم في النهاية أن سهراب هو ابنه ، نجد أن الأسطورة الفارسية تجعل الأب يعرف ابنه عن طريق خاتم أو خرزة يلبسها سهراب حول عضده . واعتقد أن مثل هذا التصوير غير ملائم عمليا ، وماثيو آرنولد

قدم فكرة مبتكرة اذ جعل الأب يعرف الابن عن طريق وشم على ذراعه .

جونسون : يجب ان نتذكر هنا ان آرنولد بكتابه هذه الملحمة كان يحاول أن ينتهج منهج التراجيديا اليونانية كما وضعه أرسطو في كتاب الشعر حيث يترك للقدر ان يلعب دوره وأن يترك أثرا يدل عليه كما قال أرسطو . وقد تكون هذه العلامة خاتما في الاصبع، ولكن أرسطو يفضل أن تكون العلامة في الجسد كالوشم على كتف سهراب . وماثيو آرنولد يعتمد في أصل روايته على الأسطورة الفارسية ، غير انه صاغها على الطريقة اليونانية التي تؤكد الدور الهام الذي يلعبه القدر في تحويل مجرى الحوادث.

بريزون : ليس في هذه الملحمة ما يشبه الحيل الفنية التي كانت تستخدم في كتابة التراجيديا اليونانية . فرستم لم تحل عليه اللعنة . فما وقع له لم يكن عقابا على معصية . أم انه كذلك ؟ على كل حال يمكن القول بأن الفكرة اليونانية القديمة القائلة بأن الكبرياء تورث المأساة . . موجودة في هذه القصيدة.

جونسون : هذا ما أراه يا سيد بريزون . ويخيل الى أن رستم اتهم بالكبرياء منذ تلك اللحظة التي أعلن فيها رغبته في المباراة متنكرا . وهذه الكبرياء هي التي منعت من اعلان شخصه ، فهو يقول في هذا الصدد : « رستم لن يتنازل ويبارز مع نكرة ، بل سألاقيه متخفيا » . واعتقد انه بهذا قد أرضى غروره وكبريائه .

بيترسون : إذا كانت الكبرياء تعتبر خطيئة في العرف اليوناني،

فهي أيضا كذلك في المسيحية يا سيد جونسون .

بريزون : بالطبع هي كذلك . بل انها من الخطايا الكبرى يا آنسة

بيترسون . ان ما أعنيه هو أنه في التراجيديا اليونانية

التي أخذنا عنها فكرتنا عن المقومات الجوهرية

للتراجيديا الأدبية ان الكبرياء هي العنصر الاساسي

الذي يميز التراجيديا من الأعمال الأدبية الأخرى

التي تثير العطف والأسى . فالآلهة تتذرع بها لانزال

الكوارث بالآدميين الضعفاء .

جونسون : يقال في هذا الصدد ان الكبرياء يعقبها السقوط .

ومن الحركة الرمزية التي حدثت أثناء المباراة

ان سهراب يقطع الريشة الحمراء التي علت هامة

رستم لدرجة اننا نشعر انها سقطت في التراب .

وبعد انتهاء المباراة وقد عرف الأب ابنه والابن أباه ،

يقول سهراب لرستم : « عذرا يا رستم » وعندئذ

يحشو رستم التراب على رأسه وعلى درعه ، كأنما

يصدر عن الشعور بالذنب .

بريزون : ربما فعل هذا كطقس من طقوس الحداد . لكن انت

على صواب دون شك يا سيد جونسون . فثمّة

شعور بالذنب . فرستم يشعر انه ربما كان يستطيع

تفادي ما حدث لو انه كان أكثر إنسانية وتواضعا .

بيترسون : ربما أراد سهراب ان يخفف من وقع الحادث على

نفس رستم حينما قال في آخر القصيدة : « انه

القدر ، وحكم السماء وليس غيره » ولكنه كان يتمثل

شبح الموت أمامه طوال الوقت لأنه قال : « لا يستطيع

حتى الآن أن تعرف أنك المنتصر ، فنحن جميعا نسبح

فى البحر على متن موجة القدر العاتية وهى لم تقرر هل تسقط على هذا الجانب أم ذاك . انها أبيات جميلة والقصيدة رائعة فى صَـوَرها وتشبيهاتها واستعاراتها . انها أدفاً وأغنى ألوانا من قصائد آرنولد الغنائية ، وان كان معظم القراء يفضلون شعره الغنائى لأنه أوفر ذاتية .

جونسون : وأعتقد يا آنسة بيترسون ان أجمل الأبيات فى هذه الملحمة هى ما قيل على لسان رستم وسهراب ، وهما يذكران الماضى وبراءة الطفولة والسعادة العائلية . ونشعر طوال الملحمة أن هذين المتبارزين قد ضلّا الطريق ، فكل منهما كان يبحث عن الآخر . وحينما وجد كل منهما ضالته المنشودة ، وجد أنه من الصعب العودة الى بيت رستم أو الى بيت جد سهراب الذى وصف مرتين وصفا شائقا خلال الملحمة .

بريزون : على أية حال هذا لا يقدم أو يؤخر فى مثل هذه الملحمة الشعرية العظيمة يا سيد جونسون . ولكن ما رأيك فى هذه القصيدة من حيث هى تاريخ . هل هى تروى واقعة تاريخية صحيحة أم هى تعتمد على أساطير الفردوسى أو أساطير فارس وكأنها حقائق تاريخية؟

جونسون : لقد كانت تسود قصائد آرنولد الأولى مشكلة الشباب أو الفنان ؛ الشاب الذى ترعرع فى القرن التاسع عشر ، عصر الثورة الصناعية . وكان فى قرارة نفسه مقتنعا بأن هذا النوع من الشعر ليس أجود الشعر . لهذا غير موقفه من الشعر قبل كتابة هذه الملحمة قائلا ان الشعر يجب أن يعث الحياة فى النفس . . يجب

أن يبعث معانى النبيل . . يجب أن يغذى الروح .
وانى أعتبر أن هذه الملحمة ما هى الا محاولة من
آرنولد لخلق بطولة عظيمة هادفا بها الى أن يغير من
روح العصر الذى كتبت فيه . ومن ثم تعتبر الملحمة
هامة من الناحية التاريخية ، وعلى أية حال فانها
مثال على الاتجاه الذى تقراه اليوم فى أدبنا المعاصر ،
اتجاه الأديب الى أسطورة من الأساطير واتخاذها
موضوعا لأدبه حتى يضيف الجلال والقيمة على المواقف
العادية التى تصادفنا كل يوم .

بيترسون : ويخيل الى أن من الأمور التى تحققها القصيدة ،
تأكيد شجاعة الانسان فى المعركة - رغم مقتنا الشديد
للمعارك - فى الوقت الذى تهمل فيه البطولات
الفردية على كثرة ما يستنزف منها ويراق . فمثلا
نطالع فى جرائد اليوم أن عددا من السفن والطائرات
قد دمر . وكان الأمر كله يقاس بعدد ما دمر من بوارج
وطائرات . فلا ذكر لبطولة الانسان . كما نجد أن
الشجاعة الفردية التى أظهرها رجال كثيرون إبان
الحروب لا ذكر لها . أما فى هذه الملحمة فبطولة
الانسان تتجسد فى صورة حية متحركة تتمثل فى
شخصين على حين أن الجيوش على الجانبين فى
موقف المتفرجين . فهنا تتجلى الفروسية عنصرا
أساسيا من عناصر الحرب ، كما كانت فى الماضى ،
وكما هى الآن عند الملايين من الأفراد المتحاربين .

بريزون : فى غالب الظن أنها لم تختف من الحروب كما تقولين
يا آنسة بيترسون ، ولكنها اذا كانت قد اختفت
فليس سبب هذا أن رجال اليوم أقل شجاعة ،

أو أن الشرف لا يعنى كثيرا بالنسبة اليهم . ولكن لأنه من المستحيل الآن أن نجد بطنين يمثل كل منهما جيشا بأكمله يخرجان للحرب فى قلب الصحراء الرملية لانتهاء الخلاف بين الجيشين . ان مثل هذا لا يحدث فى عصرنا الحديث . فقديما كان يتوافر العنصر الرياضى فى الحرب ، وهذا العنصر الرياضى يستحيل على الجيوش المتحاربة الآن .

جونسون : على أية حال لقد كان سهراب جنديا محترفا بحكم مهنته محاربا من أجل التتار . أما فى المعارك الحربية التى تحدث فى عصرنا فهناك غاية سامية يجب أن نعتزف بها دائما ، وهى الوفاء . وهذا الوفاء ليس مجرد وفاء المحارب لجيشه ووفاء الجيش له ، وانما هو أيضا وفاء الأب لابنه . ففى هذه القصيدة يصدر الأب والابن عن أسمى ولاء ، ولاء البنوة بمعناها القدسى القديم .

بريزون : ألا يؤدي هذا بنا ياسيد جونسون الى شىء أجل بكثير ، ألا وهو معنى هذه العلاقة بالنسبة لآرنولد نفسه . ان آرنولد كان رجلا يعيش فى الظاهر حياة تقليدية مفتشا للمدرس ويظهر بمظهر الفيكثوريين تحفظا رغم أنه لم يكن من المفكرين الجامدين . وان كان يظهر بمظهر المفكر الجامد فان ذلك كان مجرد مظهر ليس الا . لقد كان يكمن تحت هذا الجمود شعور وعواطف ورقة ، رغم هذا المظهر الجامد المتحجر ؛ لقد كان خلف تلك الشخصية الصلبة شاعر عظيم . والآن ما الذى كانت تعنيه هذه الملحمة بالنسبة للمؤلف نفسه ؟

جونسون : ان لى نظرة فى هذا الصدد يا سيد بريزون . ان توماس آرنولد والد ماثيو آرنولد كان من أعظم رجال العصر الفيكتورى ، فقد كان الناظر الكبير لمدرسة « راجبى » وقد أدت نظرياته التعليمية الى حركة اصلاح كبيرة فى المدارس الثانوية . وكان أيضا من قادة النقاد الانجيليين والبوعظيين . وكانت له مكانته العظيمة ونفوذه القوى . وانى أومن ايمانا وثيقا أن العلاقة بين رستم وسهراب فى هذه الملحمة تصور وفاء آرنولد للذكرى والده العتيد .

بريزون : نعم وفاء للذكرى . ولكن هنالك أيضا شيئا من شعور الابن الذى يرى فى نفسه قوة عظيمة ، ويرى فى ابيه قوة عظيمة . انها حالة لا بد معها من الصراع .

جونسون : أعتقد ان هذا حق دون شك . والدليل على ذلك أن ماثيو آرنولد لم يكتب مرثيته لأبيه بعنوان « مصلى راجبى » الا بعد سنين عديدة من موت ابيه . والسبب فى ذلك هو أنه كان هنالك نزاع قائم بين شخصيتين قويتين مختلفتين .

بيترسون : وأعتقد أيضا أن هذه القصيدة تصور أيضا نظرية آرنولد فى الأخلاق . فلقد كان سلوك الناس فى الحياة يهمله أكثر مما يهمله أى امر آخر . كان يعيش فى عصر تزايدت فيه قوة الأديان السماوية على نحو ما ، وأعتقد أنه قد زادت عقيدته . ولهذا فقد تشبث بالمقاييس الأخلاقية فى السلوك . وقال فى ذلك الصدد ان لم يكن للانسان حياة أخرى ، اذن فليرتفع بمستوى حياته على الأرض . وكان هذا

شعاره دائما ، ويردد ماثيو آرنولد في قصائده جميعها الدعوة الى الاعتماد على النفس وعلى قوة الروح المعنوية وجديتها في مجابهة العالم أجمع . وهذه الملحمة في رأيي تصوير لتلك النظرية .

بريزون

: أشاركك في هذا الاعتقاد يا آنسة بيترسون ، وانه من الطريف أن نرى أن بعض الناس يعتقدون أن مثل هذا الصراع بدأ بالأمس فقط ، وها نحن أولاء نراه في ماثيو آرنولد الذي عاش منذ أكثر من مائة عام . ومن المحتمل أن مثل هذا الصراع قد عذب الكثير من الأرواح البشرية منذ آلاف السنين .

جونسون

: انه لنصر كبير لماثيو آرنولد الذي تقول عنه انه شاعر عظيم ، انه استطاع أن يعرض هذا الموقف في صورة ملحمة لسهراب ورستم ، وهي تعتبر في الحقيقة تصويرا ملحميا ملهما للنزاع بين جيشين متصارعين .

بريزون

: وهذه القصيدة — شأن كل القصائد العظيمة — يمكن أن يقرأها من ينشد الجمال والدراما المثيرة ، حتى وان عزف عن التنقيب الدقيق عن معانيها العميقة .

الوهم العظیم

The Great Illusion

لسیر نورمان آنگل

Angell

سير نورمان آنجل

سير نورمان رالف آنجل لين - (١٨٧٤ -)
كاتب بريطاني يدعو الى العالمية والسلام على
أساس اقتصادي . ولد في « هوليتش » من أب
قاضي . وسافر صبا وشابا في أوروبا وأمريكا .
لم يتزوج . عمل في الصحافة الأمريكية والفرنسية
والإنجليزية . وكان همه تحريك الرأي العام من أجل
السلام . كان نائبا عماليا عن شمال « برادفورد »
من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣١ . وفي سنة ١٩٣١
نصب فارسا ، وفي سنة ١٩٣٣ نال جائزة نوبل
بالاشتراك مع آرثر هندرسن . تولى مناصب
صحفية وعمل في بعض المنظمات السياسية الداعية
الى السلام . واتصل بالرئيس ولسن وعمل في
مصلحة الأمم . وحاضر عشر سنوات في أمريكا من
سنة ١٩٤٠ الى سنة ١٩٥١ .

شهر بكتابه « الوهم الكبير » سنة ١٩١٠ ، وهو
الصورة المنقحة لكتاب نشره سنة ١٩٠٩ بعنوان :
« خداع البصر في أوروبا » . وذاع الكتاب بشكل
عالمى ، فقرأ في أوروبا وآسيا وأمريكا .

له كتب كثيرة كلها حول الحرب أو الاقتصاد ،
منها « الحرب والحقائق الأساسية » سنة ١٩١٣ ،

« غايات الحرية » سنة ١٩١٨ ، « ثمار النصر »
سنة ١٩٢١ ، « أيتحتم على انجلترا أن تسلك طريق
موسكو ؟ » سنة ١٩٢٦ ، « لعبة النقود » سنة
١٩٢٨ ، « القتلة غير المرئيين » سنة ١٩٣٢ ، « أي
نوع من السلام هذا ؟ » سنة ١٩٤١ . وفي سنة
١٩٥١ نشر سيرته الذاتية . لا يزال يعيش في
شمال اسكتلندا في جزيرة صغيرة ويقود يخته في بحر
الشمال .

تعريف بالكتاب والمؤلف

أبوه قاض يعمل للعدالة ، وحياته مقسمة منذ طفولته على شتى بقاع الأرض . أفنعب بعد ذلك أن يدعو سير نورمان أنجل طوال حياته للسلام العالمى . طفولته فى إنجلترا ، ومراهقته فى فرنسا حيث درس فى الليسيه ، وصباه فى سويسرا ، يدرس فى جامعة جنيف ، وفجر شبابه فى غرب أمريكا وفى المكسيك يمارس حياة رعاة البقر بكل شهامتها وفروسياتها وشجاعتها . ويعمل فى الصحف الأمريكية والفرنسية والانجليزية ، وعشر سنوات مع لورد نورثكليف ، وثلاث سنوات يرأس تحرير مجلة الشئون الخارجية . وفى نفس هذه السنوات الثلاث ١٩٢٨ - ١٩٣١ يمارس حياة نائب فى البرلمان ، نائب عمالى عن شمال برادفورد . وفى سنة ١٩٣١ ينصب فارسا ويحمل لقب « سير » . وتعرض عليه وظائف كبرى فى الدولة ولكنه يابى لأن رسالة كبرى تشغل حياته الطويلة وتدعوه الى الرحلات ؛ والوظائف أضيق من أن تتسع لهذه الدعوة العريضة . كتب فى السابعة والسبعين من عمره (سنة ١٩٥١) سيرته الذاتية ، وكان لعشر سنوات مضت يقضى الخريف والشتاء محاضرا فى أمريكا والربيع والصيف مستريحا فى إنجلترا فى جزيرة صغيرة شمال اسكس حيث يعيش الآن يتسلى بقيادة يخت فى بحر الشمال ، وفيها يقول : « لقد ضعفت صحتى والظاهر أنها آخر مرة أرى فيها أمريكا . ان السفر والمحاضرات والمناقشات قد أجهدتنى . » ومنع ذلك فلقد أحب أمريكا لأنه قضى فيها جزءا كبيرا من حياته .

فيم كان هذا التجوال الكثير ؟ في سبيل قضية ضخمة لا يمكن لفرد وحده أن يصل فيها الى نتائج . ان لآنجل رأيا في السلام ، ولكن له سعيًا حثيثًا دائمًا في سبيله . ويقول مؤرخه انه لو تحقق السلام العالمى يوما ، فلا بد أن تذكر جهود لآنجل في هذا السبيل بكل فخر واحترام .

لقد رحل وكتب وناقش وعاش ، ولم يكد يشغل بأى شيء الا بالسلام العالمى ، ولئن يكن قد بنى دعوته على فكرة اقتصادية لم يستطع أن يقنع الكثيرين بها ، فلقد أصاب رغم هذا نجاحا في دعوته . لقد كان يدعو الى نوع من الاتحاد الدولى في سبيل منع الحرب ، وقابل الرئيس ولسن وناقشه في موضوع السلام ، وكان عضوا في اللجان التنفيذية في عصبة الأمم . وعاش ليرى هيئة الأمم . ولكن يجب أن نذكر انه بدأ دعوته حتى قبل الحرب العالمية الأولى أيام لم تكن فكرة عصبة الأمم تخطر على بال . وهو مؤمن اننا ان كنا لم نصل بعد الى ما نريد في موضوع السلام ، فاننا ولا شك سائرون نحو الهدف بخطى تزداد وضوحا .

لقد ألف كتابه « الوهم الكبير » سنة ١٩١٠ على اساس كتاب « خداع البصر في أوروبا » سنة ١٩٠٩ . ورفع الكتاب من ذكره حتى لم يعد مثقف او شبه مثقف يعرف اللغة الانجليزية لم يقرأ هذا الكتاب في تلك الأيام . وترجم الكتاب وقراه أكثر وأكثر عددا . وعلى أساس هذا الكتاب وكتب أخرى ومجهوداته في سبيل هذه القضية لقب بالفارس ، ونال جائزة نوبل بالمشاركة سنة ١٩٣٣ . ان لآنجل يؤمن بالحرية أساسا للسلام ، كما يؤمن بانفصال الاقتصاد عن الحروب . ان الحرب في نظره لا تحل مشكلات الاقتصاد ، ولكنها — وهذا هو الأهم — لا يمكن أن تكون وسيلة كسب اقتصادى . لقد درس الاقتصاد ، وكان ميالا الى تبسيط الأمور للقراء والمستمعين حتى انه ألف لعبة بالبطاقات تسهل فهم

تعقيدات التداول النقدي الدولي ، كذلك كتب كتباً شعبية عن الاقتصاد وعن النقد . يريد بكل هذا أن يقرب هذه الموضوعات الصعبة الى ذهن المثقفين عامة ليستطيع بعد ذلك أن يقول ان الحرب لا شأن لها بالاقتصاد . وكان يعادى كل من يدعو الى الحرب ، أو يؤمن بأن الحرب وسيلة من وسائل حل المشكلات السياسية أو الاقتصادية ، لذلك كره الفاشية وحاربها ، ورأس المناوئة ، جمعية دولية تهاجم الحرب وتعمل ضد الفاشية .

ولم تدر مؤلفاته . على كثرتها ، الا حول هذين الموضوعين : الحرب والاقتصاد . بدأها بكتاب « الوطنية في ظل ثلاث رايات » سنة ١٩٠٣ . وتوقف سنة ١٩٥٨ عند كتاب « الدفاع ودور متكلمي الانجليزية » . خمسة وخمسين عاماً لم يهدأ من الكتابة في سبيل السلام العالمى ، ومن الموضوعات التى طرقها نذكر أمثلة لأن حصرها طويل وبعضها يؤكد لنا اهتمام الرجل بقضية شغلت كل حياته . لقد ألف : « الفوضى الاقتصادية ومعاهدة السلام » سنة ١٩١٩ ، ومن الاهتمام بالاقتصاد اهتم بالبطالة وألف « هل يمكن للحكومات أن تعالج البطالة ؟ » سنة ١٩٣١ . كذلك ألف حول موضوعات الفوضى والضياح « من أجل ماذا نحارب » سنة ١٩٣٩ ، « من الفوضى الى النظام » سنة ١٩٢٢ ، « الضياح فى أمريكا » سنة ١٩٣٢ ، « أى نوع من السلام هذا ؟ » سنة ١٩٤١ .

لقد قرأ فى شبابه مقال جون ستيوارت مل عن الحرية ، فأثر المقال والكاتب كلاهما فى حياته آثاراً بالغة . يقول الناقد ألفن جونسون انه يقرن دائماً بين ستيوارت مل وبين أنجل ، ويعدهما أحكم المفكرين وأشجع المتحدثين بالانجليزية وأوفاهم أمانة وصدقاً، انهما كآب وابن فى إنسانيتهمما اللانهائية ، وفى اخلاصهما للمنطق السليم . ولكن أنجل أكثر حركة ، وكأنما اتشح « بالوهم الكبير »

وراح يجوب العالم متزعما أقوى حركة سلام دولى وتفهم عالمى فى زماننا .

ويمتاز الوهم الكبير بأن صاحبه يحشد الحجج فيه على أن الحروب لا تحل مشكلات الاقتصاد ، وأنها لا تؤدي الى كسب اقتصادى ، بل ان الفائز فيها كثيرا ما يكون هو الخاسر . ويضرب المثل بتغلب ألمانيا بسمارك على فرنسا ، وكيف أن فرنسا بعد الانهزام كانت هي الأكثر ازدهارا اقتصاديا من ألمانيا بعد النصر . ان الأمم اذا ارادت مصالحتها الاقتصادية يجب أن تتعسد من وسيلة الحرب .

وبصرف النظر عن عدم موافقتنا على بعض آراء أنجل الهامة، فان دعوته الحارة للسلام الدولى والحرية العالمية قد صبغت بأسلوب مخلص بسيط يشع بحرارة ايمان الرجل الذى كرس حياته كلها من أجل دعوة انسانية واحدة تسرى إلينا من خلال كلماته الآمنة فتجعلنا نتحمس لدعوته ، لا لأنها دعوة حرية بتحمس كل فرد فحسب ، ولكن لأنه فعلا يلهب حماسنا بإيمانه العميق . انه منذ سنة ١٩٠٩ يبشر بالعالمية ويرسم للناس صورة عن اتحاد دولى قبل عصبة الأمم وهيئة أمم تكون مهمته الأولى القضاء على الحرب كوسيلة لحل أية مشكلة . انه يدعو الى اتحاد يصون الأمن والقانون والنظام ويمنع ، بما لديه من قوة الاتحاد ومن شتى وسائل الأمم المنضوية تحت لوائه ، قيام أية حرب فى أية بقعة من العالم . اوليس من سخريه القدر أن يحيا أنجل ليرى حربين عالميتين مدمرتين ، ولم يتعظ الإنسان بعد ، فما زالت الحروب الصغيرة هنا وهناك تلتفح وجه المعمورة وتزرى بالإنسان .

ان أنجل مؤمن وأسلوبه مخلص وكتابه رائد فيما تصور من تسبل ووسائل فى طريق الإنسانية الوعر نحو الامتناع عن الحروب . لذلك ما كان يمكن كما يقول الأستاذ بريزون فى الحوار هنا أن

يختتم كلام عن كتب تتحدث عن الحرب والسلام دون وقفة أمام كتاب أنجل الأشهر « لوهم العظيم » . هذا الكتاب الذي ذاع ذيوعا لم تحظ به الا قلة نادرة من الكتب ؛ فلقد طبع أكثر من خمس وعشرين مرة ، وترجم الى خمس عشرة لغة وقرىء في أحد عشر بلدا على الأقل .

سهر القلماوى

الحوار

سير كارل برندسون (١) جيمس ك . فييلمان (٢) ليتمان بريزون
بريزون : لا اعتقد انه يمكن لفرد أن يتناول الكتب التي تناقش

مسائل الحرب والسلام دون أن يتعرض لكتاب
« الوهم العظيم » . وفي شبابي كان هذا هو الكتاب
الوحيد الذي أثار جدلا حول هذا الموضوع أكثر من
أي كتاب آخر . ولقد أصبت بخيبة أمل حين
اتضح لي أن هذا الكتاب قد نفذت طبعاته ، ومن
الغريب هنا أن كتابا كهذا كان منذ خمسين عاما
فقط محور الحديث في كل مكان أصبح الآن من
العسير وجوده في أية مكتبة . هل مرد ذلك الى أن
الكتاب قد فقد أهميته لأن الناس قد نسوا
مضمونه ، وأن نورمان آنجل ، الذي بلغ الثمانين
من العمر قد ذهبت مجهودات عمره أدرج
الرياح ؟

برندسون : والكتاب لم تنفذ طبعاته فحسب ، بل لقد وجدت
من العسير جدا الحصول على نسخة منه في مكتبة
نيويورك العامة ، فهناك نسختان منه فقط .

بريزون : واقديمتان دون شك يا سيد كارل . .

برندسون : على كل ليستا بالحالة التي كانتا عليها من قبل .
أعتقد أن هذا الكتاب يعتبر أحد الكتب الهامة التي

(١) Sir Carl Berendsen السفير السابق لنيوزلندا في الولايات المتحدة .

(٢) James K. Feibleman أستاذ الفلسفة بجامعة تولين .

اثارت الفكر في هذا القرن ، واذا كانت قيمته ترجع أصلا الى تلك المناقشات التي اثارها أكثر مما ترجع الى المادة التي يحتويها ، فذلك لا يفض من حقيقة كونه أعظم عمل مؤثر ومقنع في وقتنا هذا ، كما انه يعتبر من أقوى العوامل التي وجهت الانسان لبحث عن أسباب الحرب وكيف يتيسر له تحقيق العدالة والانسانية والحكمة دون اللجوء الى الصراع المتكرر.

بريزون : يبدو لي أنك تتجنب القول ياسير كارل بأن هذا الكتاب يعتبر أقوى حجة موضوعية ضد الحرب .

برندسون : أنا لا أعتقد أن جانب الاقناع في هذا الكتاب يعدل جانب ما اثاره من مناقشات وخلافات في الرأي.

فييلمان : أنا أعتقد ياسير كارل أن هذا الكتاب عظيم الى درجة تثير العجب ، وأقول تثير العجب لأن الاستدلال متسق جدا يؤدي بك مباشرة من مقدمات زائفة الى نتائج صحيحة .

بريزون : وأنت كأستاذ للفلسفة يا أستاذ فييلمان ، هل من الجائز اتباع مثل هذا المنهج في المنطق ؟

فييلمان : نعم جائز . فأنت تستطيع الانتقال من المقدمات الفاسدة الى نتائج صحيحة ، ولكنك لا تستطيع

أن تنتقل من مقدمات صحيحة الى نتائج فاسدة . هذه هي نظرية المنطق كاملة . والعجيب في أمر كتاب آنجل أن نظريته غير سليمة ، فهو يقول بأن الاقتصاد مستقل عن السياسة ، والحرب أداة من أدوات السياسة ، اذن فالحرب لا يمكن أن تتمخض عن فائدة اقتصادية . وتلك نظرية باطلة بطبيعة الحال .

بريزون : حلمك . . انتظر دقيقة ، لا تعجبني كلمة « بطبيعة الحال » هذه . هل تلك النظرية زائفة حقا ؟ انى اعاود قراءة « الوهم العظيم » فى شىء من الدهشة ، فأجد ان قدرا كبيرا من حججه يعارض المسلمة الشائعة القائلة بأنك اذا كسبت الحرب كسبت المال ، كأن الأمر بهذه البساطة ، وهذه فيما اعتقد من مسلمات رجل الشارع ، فهى اذن ليس لها أساس وطيد .

فييلمان : صحيح انها غير ثابتة علميا ، ولكن لتساءل : هل حدث ان الحروب ادت الى كسب اقتصادى على المدى الطويل ؟ هذا هو سؤال آنجل الحقيقى .

برندسون : افضل أن أحلل الموضوع أكثر من ذلك قبل أن نصل الى هذه النقطة ، فما الذى كان يفترضه آنجل ؟ لناخذ أولا الشئ الذى لم يفترضه ، فانه لم يقل ان الحرب قد أصبحت مستحيلة من الناحية الاقتصادية .

بريزون : نعم . . انه لم يقل ذلك . وقد حاول طوال خمسين عاما أن يقنع الناس بأنه لم يقل هذا القول .

فييلمان : ان آنجل لم يكن مجرد داعية سلام على الاطلاق .

برندسون : . . . على وجه الاطلاق . . . فقد أنكر فكرة المهادنة ، كما أنكر أن الرأسمالية هى الحل ، ولكننى أتذكر جيدا حينما ذهبت الى الحرب فى أغسطس سنة ١٩١٤ كيف كان القول الشائع وقتذاك : « ان الحرب لا يمكن أن تستمر الى ما بعد عيد الميلاد بسبب الصعوبات المالية التى تترتب على الاستمرار فى الحرب .

بريزون : كان المفروض أن آنجل قد أثبت ذلك الرأى .

برندسون : كلا . لم يكن صاحب هذا الرأى قط .

بريزون : بل انه حينما قرر آنجل أن الحرب لا تعود بالكسب المادى ، فانه قال رغم ذلك انى أتوقع من الناس أن يندفعوا الى الحرب فى القريب العاجل مفترضا أنهم سيذهبون فعلا .

فييلمان : حقيقة لقد قال انه ليس من الممكن أن يكسب الانسان المال عن طريق الحرب ، ولكنه حينما قال ذلك كان يفترض أن النظام الرأسمالى سيسود فى جميع البلاد المتحاربة ، وأنه يستحيل الاستحواذ على التجارة بقوة السلاح ، وهذا صحيح اذا سادت الرأسمالية ، ولكن هنالك بعض البلاد التى لايسودها النظام الرأسمالى مثل الاتحاد السوفيتى . وانى لاتساءل : هل يمكن أن تقول لاتافيا انه لا يمكن بالقوة الاستحواذ على التجارة أو المنافع الاقتصادية ؟

برندسون : لست أدرى الى أى حد تصدق هذه النظرية - أعنى النظرية القائلة بأنه لا سبيل الى كسب المنافع الاقتصادية عن طريق الحرب . ان فكرة آنجل هى أن المنتصر سيضطر الى ترك المنهزم وفى حوزته الحياة والثروة . ولكن الأحداث الأخيرة أثبتت بما لايدع مجالا للشك أن هناك منفعة تجنى من الحروب . . فهتلر وستالين أثبتا ذلك عندما لجآ الى إبادة الملايين ، واستعباد وسجن الملايين الأخرى ، والى الاستيلاء بالقوة على الممتلكات العامة والخاصة،

ولا سيما السلع الرئيسية . وهذا دون شك يعد
كسبا اقتصاديا .

بريزون : هذا حقيقى يا سير كارل . ولكن من الحق ايضا
انه بعد مشاركتنا مرتين فى غزو المانيا أنفقنا أموالا
طائلة لاعادة تمويل المانيا واطعام أهلها واعادة بناء
مادمر منها . ولعل هذا هو المسلك الذى كان يتوقعه
نورمان أنجل من الأمم .

برندسون : لا أظن أن أنجل قد ذهب فى تفكيره الى هذا المدى .
فييلمان : ولا أنا ايضا .

بريزون : هل تظنون أن أنجل اعتقد أن الحلفاء كان لزاما عليهم
أن يقللوا الشعوب من عثراتها وبيعثوا فيها النشاط
الاقتصادى ، وأنتم تتذكرون المثل الكبير الذى
قدمه أنجل حين قال انه حينما نجح بسمارك
فى تدمير فرنسا الحديثة وانتظر بضع سنوات ،
فان فرنسا أصبحت أحسن حالا من المانيا ، وهذا
رغم أن المانيا هى التى كسبت الحرب .

برندسون : ولكن لا تنسوا أن المانيا حصلت على تعويض كبير .
بريزون : ولكن فى رأى أنجل أن المانيا خسرت هذه الحرب .
فييلمان : أليست هنالك نظرية خفية هنا تقول بأن الاقتصاد
شئ جميل ، فى حين أن السياسة شئ قبيح ؛
فالسياسة هى الوغد فى هذا الموقف . ان أنجل
يفترض على ما أظن وجود التجارة الحرة ، وبالتالي
يفترض وجود النظام الرأسمالى ، وكلاهما يعتبره
الكثير من شعوب الغرب أمرا جميلا . ولكن ليس
معنى ذلك أنه أمر لا بد منه كما تخيل أنجل ؛
فالسياسة عنده هى مجرد تدخل فى الاقتصاد .

واذا ترك الاقتصاد على حدة في عالم مسالم ، فان
الاقتصاد يمكنه أن يحل جميع المشكلات . واني
أحسب أنه أخطأ هنا للمرة الثانية .

بريزون : هل تعتقد أنه ذهب إلى هذا الحد يا سيد فيلمان ؟
فيلمان : هنالك نقطتان لأنجل أود أن أدافع عن أحدهما .

هذه النقطة هي الأمن الجماعي . فأعتقد أن أنجل
هو أول من نادى بأن أهم ضمان ضد العدوان هو
الأمن الجماعي ، لا المهادنة ، هو الرغبة في التفاهم
وتسوية المشكلات بطريقة عقلية سليمة على مستوى
دولي وبطريقة سلمية . ومع أن أفكار أنجل لم
يكتب لها النجاح الكامل ، فإنها قد نجحت على نحو ما ،
ألم تكن عصبة الأمم ثم من بعدها هيئة الأمم
على نحو ما نتيجة منطقية لما كتب ؟ ولا تنس أن
كتابته قد ترجم إلى عشرين لغة وكل انسان له أية
مكانة في عصره قد قرا كتابه . وقد عاش معاصروه إلى
أن قامت عصبة الأمم ، ومن بعدها هيئة الأمم اللتان
تعتبران محاولتين فكريتين من ناحية الأمم الراغبة
في السلام لتؤمن نفسها ضد المعتدى ، لا بطريقة
التهاون بل بالتسلح ، وتوطيد النفس على أنها كما
قالت : « سندافع عن أنفسنا ان هوجمنا ،
وسنعاقب المعتدين » .

برندسون : أوافقك كل الموافقة يا سيد فيلمان ، وأعتقد أن
الدرس الأساسي الذي نتعلمه من أنجل هو ضرورة
وجود الأمن الجماعي ، وان كان أنجل نفسه لم
يقصد أن يكون وجود الأمن الجماعي هو الدرس
الأساسي المستفاد من كتابه .

فيلمان : لا ، انه لم يقصد الى ذلك .

برندسون : ولكنه الدرس المهم الذى يجب ان نستخلصه من الكتاب . ومن ضمن ما قال ، وقد قال الكثير ، ان الحرب غير مجدية ، وانه لو استطاع الانسان ان يقنع الناس بهذه الحقيقة فلا تقع الحروب . وهذا فى رأى غير صحيح بتاتا .

بريزون : لقد قضى آنجل حياته محاولا أن يبين للناس بعض الآراء الأساسية ولو أنه فى تاريخ حياته الذى كتبه بقلمه والذى يعتبر من الكتب الرائعة يعترف بأنه فشل فى اقناع الناس بنظريته ولم يعلم السبب فى هذا الفشل ولكنه فشل على أية حال . لقد فشل فى اقناع الناس بأن العقل هو أهم شيء ، فهل كان هذا هو سبب فشله ؟

برندسون : لا اعتقد أن هذا هو سبب فشله ، وانما سبب فشله فى رأى هو أنه لم ير الأشياء بوضوح كاف ، لقد تمنى لو استطاع ان يقنع الناس بأن الحرب غير مجدية مفترضا أن الاعتبارات الاقتصادية والرغبة فى الربح هما السبب الأول للحرب ، وهو فى هذا مخطئ ، لأن السبب الأول للحرب ليس الرغبة فى الحصول على الربح الاقتصادى ، بل هو النزعة القديمة المتأصلة فى نفس الانسان . . أعنى الرغبة فى السيطرة واشتهاء التسلط .

فيلمان : ألا توافقنى يا سير كارل على أن آنجل لم يخسر قضيته تماما ، انه يخيل الى أن نورمان آنجل هو قديس العقل العملى اذا جازت هذه التسمية . فمنبع قوته الدافعة افتراض أنه اذا كان الأفراد

يسوون مشكلاتهم أحيانا بالعاطفة وأحيانا بالعقل ،
فانهم أحيانا يستعملون القوة . أما الأمم فانها لاتكاد
تصدر في تصرفاتها عن غير الدوافع العاطفية لتسوية
مشكلاتها . وهذا يؤدي الى الحرب . ان آنجل
يريد أن يصل من العقل الفردي أى من الطريقة
التي يحل بها الأفراد مشكلاتهم عن طريق العقل ،
أى عن طريق السلم الى الجماعة أو الأمة
أو التصرفات الدولية . ان آنجل ، وهو قديس
العقل العملى ، قد كرس للعقل حياته ، وما دامت
لدينا هيئة الأمم المتحدة فلا نستطيع أن نقول بحق
ان الرجل قد فشل . انى لا أعتقد أن حياة نورمان
آنجل قد ذهبت هباء بندا .

برندسون : أبدا فما أبعد حياته عن الفشل . أما الفاشل فهو
طريقته الخاصة في علاج المشكلة . فانه يفترض
شيئا من المستحيل افتراضه وهو أن الاعتبار
الاقتصادية هي السبب الرئيسى للحرب .

بريزون : انك لا توافق على هذه النظرية — وهى أن الاعتبار
الاقتصادية هي السبب الرئيسى للحرب — وذلك
لسببين ، أليس كذلك ؟ السبب الأول هو أنها غير
حقيقية ، والثانى أنها حتى لو كانت حقيقية فهي
ليست حاسمة الأثر .

برندسون : لنفترض للحظات أن الحروب غير مجدية ، وأنه
لو أقنعت الناس والعالم لامتنع قيام الحرب . هذا
فى رأى خارج الموضوع الأساسى ، فلننظر الى
الأحوال السياسية فى العالم اليوم ، ولنتأملها كما
كانت منذ بضع سنوات ، فلقد قامت حربان

عظيمنتان ولم يكن السبب الأول في اشتعالهما - في رأيي - هو الدوافع الاقتصادية ، وان كان من الطبيعي الا نتجاهل العامل الاقتصادي . فان هاتين الحربين قامتا أساسا بسبب الرغبة في السيطرة ؛ رغبة هتلر وعصابته في السيطرة ، رغبة الألمان واليابانيين في السيطرة .

والحرب القائمة اليوم اذا حق لنا أن نسميها حربا - لا قدر الله - فسببها الرغبة في السيطرة .

فييلمان

: الا يحق لنا أن نقول يا سير كارل اننا اذا نظرنا الى هذه المشكلة نظرة أعم وأشمل وجدنا أنه ما دامت الحكومة منظمة من المنظمات ، فان النظرة السائدة بين علماء الاجتماع المحدثين تؤيد فكرة نورمان آنجل ، فهم يقولون ان من طبيعة المنظمات الاجتماعية ومنها الحكومات أنها تستهدف في المحل الأول اطالة بقائها الى اقصى أمد ممكن ، أو بعبارة أخرى أن الهدف الأول لأية منظمة هو أن تظل منظمة كما هي - أي انها تصبح غاية في ذاتها . أما هدفها الثاني فهو تحقيق أغراض المنظمة . ولكن لما كان الهدف الرئيسي للحكومة ينبغي أن يكون الحكم الصالح وليس مجرد الاستمرار في الحكم فانه يمكن القول بأنها قد أصيبت بالانحراف فصارت تخدم نفسها دون الغرض الأساسي الذي كان ينبغي أن تتجه الى تحقيقه .

بريزون

: وهذا يؤدي بالحكومة الى الالتجاء الى ملاذها القديم . وهو أن قوة الحكومة اذا اختلت في الداخل فما علينا الا أن نتذكر العدو في الخارج ، ونستطيع

بالتالى أن نبعد أنظار المواطنين عن مساوئنا ونوجهها الى العدو فى الخارج ، وهكذا تستمر الحكومة فى الحكم .

فيلمان : وأحسب أن هذا قد تكون له نتائج طيبة أيضا ، فمن الملاحظ غالبا أن الشعب يصبح يدا واحدة فى حالة الحرب . فالأمريكيون مثلا يكونون يدا واحدة عند انشغالهم فى حرب خارجية فتظهر حسناتهم واضحة ، وما أن يحل السلام حتى يبدأ كل منهم بتصيد الأخطاء للآخر . وانى أتساءل كيف نستطيع أن نحقق فى وقت السلم نفس المحبة والتعاون والصدقة التى تتوافر فى وقت الحرب ؟

برندسون : وهذا يقودنى الى نقطة أخرى ، فأنا أعتقد أن آنجل قد تجاهل هذه الحقيقة الى حد بعيد ، ذلك أنه بينما لا يتم السلام الا بين طرفين ، فان شخصا واحدا يستطيع أن يشعل الحرب ، وعلى هذا يستطيع شخص واحد أن يقترب جريمة سرقة مسلحة ، وهى مسألة تتطلب المقاومة بالقوة ، فالدفاع عن النفس يعتبر من غير شك أنبل أعمال الإنسان وأشدّها ضرورة . وان الدفاع عن النفس هو الذى قاد الى الحروب الكبرى فى وقتنا الحاضر، بل ربما أدى هذا الدفاع عن النفس الى حرب عالمية ثالثة .

بريزون : لا أظن أن آنجل قد غابت عنه هذه الحقيقة كلية ، فهو يقول فى الطبعة المعدلة من كتابه « الوهم العظيم » انه قد تأكد من أن الدفاع عن النفس غالبا ما يعتبر ضرورة وهو لا يقرر أبدا بأنه يؤمن بهذه الضرورة .

برندسون : أوافقك تماما .
بريزون : فهو يرى أنه من الممكن اقناع المعتدى بأنه لن يكسب شيئا حتى ولو كسب الحرب .

برندسون : وهذا يقودنى الى تلك المآخذ التى أعيبها على آنجل بالرغم من حسناته الكثيرة التى أعجب بها . هل يمكن لأحد أن يصدق أو يفترض أن شخصا كستالين وأعدائه الذين استعبدوا ما يقرب من ستمائة مليون من البشر والذين استعبدوا أكثر من ثلث العالم عن طريق التهديد واستعمال السوط والمقصلة - هل يستطيع انسان أن يفترض أنه كان من الممكن وقف ستالين وأعدائه عن أعمالهم الوحشية عن طريق عرض رأى أكاديمى علمى يقوله آنجل - وان صح ذلك فيمكنك مثلا أن توزع نشرة على عصابة من المجرمين المسلحين الذين يقطعون الطريق تحثهم فيها على ترك الجريمة مؤكدا لهم أن الجريمة لا تفيد . وكلا الموقفين سخيف . فالكلام المصبول لا يمنع وقوع الجريمة .

فييلمان : هذه نقطة صائبة . . وأنا أريد أن أدافع عن السير نورمان من هذه الناحية ؛ فالحقيقة أنه كان بعيد النظر فى استعماله للألفاظ المناسبة . فقد كان من أقطاب علم السيماستيك ، أى المعانى فى فقه اللغة ، قبل أن يظهر اسم هذا العلم فى اللغة الانجليزية . فنورمان هو الذى قال : ان المصطلحات اللغوية انما هى امتداد لظروف لم يعد لها وجود . وقال أيضا اننا ما زلنا نسير وراء الشعارات التى لا تعنى شيئا فى العالم الذى نعيش فيه - وكما تطرد العملة الرديئة العملة الجيدة - حسب قانون جريشام -

فان الالفاظ الرديئة تطرد الالفاظ الجيدة ،
والالفاظ التى يتكرر استعمالها على الدوام والكلمات
ذات المضمون العاطفى تقيد العقل وتمنعه من العمل
السليم ، وعندى أن هذه فكرة طيبة جدا ، ولم
يلتفت اليها قراء كتاب أنجل مع أنها موجودة فيه .

بريزون : أنها موجودة فعلا ، وانها لاشك هامة ، ولكننى
لا اظن أنجل نفسه كان يعتبرها هامة مثلك يا سيد
فييلمان . وهذا هو السبب فى عدم وقوفنا عندها .
واظن أن السيد كارل محق حين يقول انك اذا قرأت
سيرته الذاتية فانك مهما تتأثر بها فلن تعد
الشعور بأن أنجل كان مخدوعا عن نفسه ، فهو
يعتقد أن فكرته الرئيسية هى أن الحرب لا تفيد .

فييلمان : ان حياة أنجل بقلمه كتاب غريب جدا . وكان يجب
أن يسمى « الوهم العظيم وأنا » فانه يسرد تاريخ
كتاب الوهم العظيم وشهرته . وعلى أية حال فان
الكتاب بيعت منه أعداد ضخمة بعد أن رفضه جميع
الناشرين أول الأمر ، ولكنه يصل الى نتيجة مؤداها
أن رأيه الأساسى صائب ، وأنه قد فشل ، والذي
حدث فعلا هو عكس ذلك تماما .

هل تظن اذن ان رأيه الأساسى كان خاطئا وأنه نجح
رغم ذلك ؟

فييلمان : اعتقد أن رأيه الأساسى كان خاطئا ، ولكنه كسب
القضية بالفعل . فقد كان له تأثيره فى التطورات
التى حدثت بعد ذلك ، كان له اتصال مباشر
بالرئيس ويلسون عن طريق الكولونيل هاوس الذى
قد يكون هو الذى أقنع ويلسون بفكرة السلام ؛

اذ كان المقصود بعصبة الأمم أن تكون تعاوننا بين الأمم وطريقا عاقلا لتسوية الخلافات . وأنا أعتقد أن هذا رائع وأنه يستحق أكبر قدر من الثناء والتنويه .

برندسون : أنى أوافقك يا سيد فيلمان ، فأنا أعتقد أن آمال آنجل كانت أوضح من تفكيره . فانه لم يقل ان العالم سيصبح مليئا بالسلام والطمأنينة والحكمة والتعقل والخير بمجرد قراءة الكتب ، ولكن كان الاعتقاد السائد بين القراء أن هذا هو رأيه ، وأهم شيء صنعه للعالم هو أنه جعل التفكير ديدن الناس (رجالا ونساء) ذوى النوايا الحسنة فى كل أرجاء العالم . فلقد ألقى بقنبلة كان لانفجارها أقوى أثر فى حمل الناس ذوى النوايا الطيبة فى كل مكان على التفكير فى هذه المشكلات الحيوية ، تلك المشكلات التى ان لم نوفق الى حلها فقد حق علينا الهلاك .

فيلمان : لا مرأى فى أن الأمور لا يمكن أن تسير تماما على النحو الذى تتوقعه ؛ ففى هذا الكتاب نظريات خاطئة . فمثلا يقول آنجل ان القوة المادية هى عامل هدام فى العالم .

بريزون : لقد بدأ فى تأليف هذا الكتاب حوالى سنة ١٩٠٨ .

فيلمان : نعم لقد كتبه سنة ١٩٠٨ وبدأ الناس فى إقراءته سنة ١٩١٠ ، وشهر هذا الكتاب وترجم الى عشرين لغة . وفيه يقول آنجل ان القوة تختفى من العالم ، وان المنازعات الدولية فى طريقها الى الاختفاء . ان الأمم المولعة بالحرب لا ترث الأرض .

وهذه نظريات خاطئة في نظري . ولقد أثبتت الحوادث عدم صحتها . ولكن هو كتاب طيب ذو أثر فعال ، وقد نجح مؤلفه في أن يثبت الى حد ما نظرية الأمم المتحدة التي لا يختلف فيها أحد بفضل جهود هذا الرجل نورمان أنجل .

بريزون : اننى أود يا سيد فيلمان ان أسألك سؤالاً مباشراً : هل من الخير أن نسير على هدى رأى رجل كهذا ، رجل اقام نظريته كلها على حجج واهية ؟

فيلمان : نعم . وكم أتمنى لو وجد في العالم الكثير من أمثاله الذين أخطأوا على طريقته . فانى أعتقد أن الرجل كان مخطئاً بطريقة زائفة . وعلى أية حال فان استعمال العقل لا يكفل لنا الصواب وانما هو يكفل لنا السير على النهج القويم . ومن هنا فانى أعتقد أن نورمان أنجل قائد عظيم حقاً . أعتقد أنه أخطأ ، ولكن خطؤه كان عظيماً . وأعتقد أن دفاعه عن استخدام العقل في السياسة وهداية المنظمات الى أهدافها الحققة لا الى مجرد اطالة عمرها ، هو بحق عمل رائع . وأظن أنه من الطريف أن سير نورمان قبل لقب « سير » ، ولكنه في نفس الوقت رفض جميع المناصب الكبيرة التي عرضت عليه ، فانه لم يرغب في أن يكون من رجال الحكومة ، وانما أراد أن يكون بعيداً عنها ، كما أنه لم يرغب في أية مكافأة . لقد رفض في إصرار وقوة جميع العروض التي قدمها الأثرياء لمعاونته ، وذلك لأنهم آمنوا به وبجهوده ولكن سير نورمان كان يؤمن بنفسه . وهذه بحق روح عظيمة .

بريزون : ونحن نستطيع أن نسير على هدى هذه الروح
العظيمة حتى ولو ارتكب آنجل أخطاء منطقية .

فييلمان : بالطبع فاني لا أعرف أى قديس من أى مذهب ،
الا ارتكب الأخطاء واعترف بها .

بريزون : انى أود أن أسألك يا سير كارل أنت ، وأنت رجل
سياسة ، ما رأيك في هذا الكتاب ؟

برندسون : أولا يا سيد بريزون أشعر أن آنجل كان بحق رجلا
عظيما ، وكان له تأثير عظيم في العالم الذى عاش
فيه ، ولكن علينا نحن اليوم ، نحن الأحرار ، أن
نتناسى جميع الشكوك النظرية فيما اذا كانت
الحرب نافعة أم لا على الأساس الاقتصادى . هذه
الشكوك التى لا أرى أن لها تأثيرا كبيرا في العالم
اليوم لدرجة اننا من الممكن اسقاطها من الحساب .
ويجب ان نتذكر في كل وقت أنه اذا لم نستعد في
هذه اللحظة الحاسمة من تاريخ البشرية للدفاع عن
الحضارة والحرية ، فانه من الممكن أن نخسر
الاثنين معا . وعندئذ تجل خسارتنا عن الوصف ،
سواء من الناحية الاقتصادية أو غيرها . فلا بد لنا
أن نسعى الى تحقيق ما دعا اليه آنجل نفسه ، وهو
نظام عالمى توضع تحت تصرفه قوة كبيرة يكون
التصرف فيها طبقا للقانون لا طبقا للأهواء . وهذا
النظام لا يوجد اليوم ولا حتى في الأمم المتحدة التى
تتطلب تأييد جميع صائبي التفكير . ان أى شيء
أقل من هذا النظام لا يكون له تأثير فعال أبدا .
يجب علينا أن نتذكر هذه الحقيقة ، وأن قيام
منظمة كهذه يتطلب من جانب جميع الأمم صغيرها

وكبيرها حكم طرف ثالث ، ولكنى أخشى أن أعترف
أن العالم ليس بعد مستعدا لهذا . ان فرصتنا اليوم
للحفاظ على حيانا وحريتنا هي أن نكون اقوياء
بالقدر الكافي وسريعى الحركة بالقدر الكافي ايضا .
اننا لم نصل بعد الى وضع سلطة فعالة فى خدمة
القانون الذى يجب أن يحترمه العالم كله . وكل
ما أستطعناه هو أننا لجأنا الى منظمات قوية
ومحالفات ، ولكنها كلها حالية حتى يأتى اليوم
الذى نستطيع أن نقيم فيه نظاما دوليا يستطيع
بما يسانده من قوى أن يكفل الامن والنظام وتطبيق
القانون فى كل أرجاء العالم .

هذا الكتاب

بقلم

حسن جلال العروسي

اعتادت مؤسسة فرانكلين ان تقدم للمقارىء العربى فى هذه السلسلة - حول مائدة المعرفة - مختارات وموضوعات ادبية عالمية لا تتقيد بزمان او مكان ، وانما تهدف الى جمع افضل ما كتب فى موضوع بعينه لكى تقربه الى الناس وتضعه نصب اعينهم .

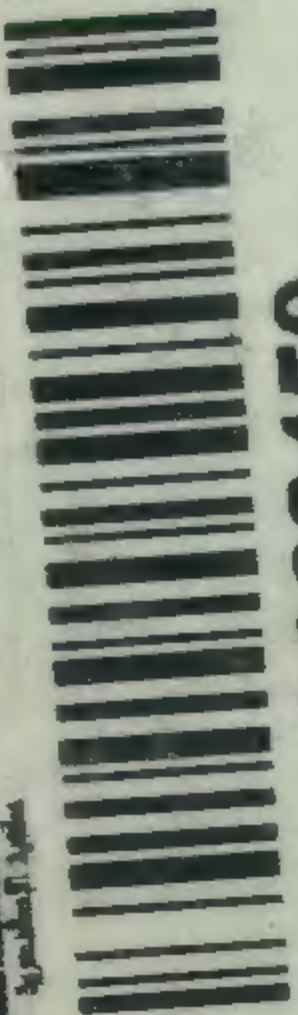
والكتاب الذى بين ايدينا اليوم عنوانه : « الوان من الحروب » يتكلم عن الحروب تلك الكلمة التى تشغل اذهان الناس فى العالم كله من مشرقه الى مغربه ، ومن شماله الى جنوبه ولقد تناول هذا الموضوع بالبحث خمسة من كبار ادباء الدنيا اختلفوا مكانا وزمانا ، ولكنهم اجتمعوا حول فكرة واحدة . فهذا ثيوسيديدس يصور لنا الحرب التى دارت بين اثينا واسبرطة فى القرن الخامس قبل الميلاد ، وها هو ذا فلوير الفرنسى يتناول موضوع الحرب فى القرن التاسع عشر ، وكذلك آرنولد الانجليزى ، ولم يفت سرفنتيس - كاتب اسبانيا العظيم - ان يشارك فى الكتابة فى هذا الموضوع ، واخيرا يقدم لنا آنجل ابن القرن العشرين خلاصة تفكيره ويشترك مع الاربعة الآخرين فى مناقشة هذا الموضوع الذى شغل الناس على مر السنين .

الدار القومية
سنة ١٩٦٥



الثمن ١٩ قرشا

Bibliotheca Alexandrina



0362459